ANCORA IMPARO



العُصُورُ

يناير ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٧ مجلد ٣

الابولوجيا

او

دفاع سقراط عن نفسه

بقلم تلميذه وخليفته (افلاطون) — وقد ترجمناها عن اصل انجليزي بقلم مس — ف . م ستاول F. M. Stawell

---

١ — قبل الفتوى بادانته

— ١ —

لست اعلم يا أبناء أثينا ما شعرتم به اذ أنتم مطرقون تصغون الى الذين يتهموننى . فان السبيل التى سلكوها للتأثير فيكم هى السبيل المثلى ، حتى لقد انسانى تظاهرهم بنصرة الحق نفسى . وعلى الرغم من هذا فانهم لم يقولوا كلمة واحدة التزموا فيها محجة الحق والصواب . على انى لم أوخذ بفرية افتروها مثل تحذيرهم

اياكم منى الا تفتنوا بسحر بيانى ، زعماً منهم بانى الخطيب المصقع الكبير . وانهم ليعلمون علم اليقين انى سوف أدحض لهم البرهان بالبرهان ، واضرب لهم الحجة للحجة . وسيظهر لكم ظهور الصبح إذ يتألق ضوؤه ، انى لست بالخطيب الكبير القابض بزمام بلاغته على لعنة البيان ، و بفصاحة بيانه على عقال مشاعركم . ولقد يخفى انى يرون هذه هو موضع ماوصل اليه عتوهم واتهمت اليه وقاحتهم ، مالم يكن قصدهم بالخطيب الكبير رجلا يقول الحق و يحترمه . اما اذا كان هذا قصدهم ، فانا عند عتوهم : انا ذلك الخطيب . غير انى لست منهم فى شيء . فانهم لم يقولوا كلمة حق واحدة جديرة باحترام العقلاء . اما من يقف امامكم اليوم ، فستسمعون الحق الصراح .

يا أبناء أثينا ـ لن يتبادر الى اذهانكم انكم ستسمعون منى ذلك الكلام المنمق ، وتلك الجمل المزخرفة التى تضيع الحق فى تضاعيف باطلها ، بل كلام دارج وجمل مرسلة على غرارها خالية من آثار التصنع ، وتكاليف الاوضاع . وانى لاعتقد اعتقاداً لاتزعزعه ريبة فى أن ما سأقوله اليوم هو الحق ، والحق نفسه . لذلك ينحصر املى فى أن لاينشد احدكم غير استجلاء الحقيقة ، ضالة العقلاء . والحقيقة، ياأبناء أثينا ، انه غير جدير برجل بلغ من العمر مابلغت ، أن يقف امامكم و بين يديه دفاع معد من قبل كما تفعل الصبيان . وليس لى عليكم من سلطان الا ان اسألكم امراً واحداً ، لاابغى منكم عنه حولا : فانكم ان وجدتمونى اتكلم خلال الدفاع عن نفسي كما تعودت أن اتكلم فيكم من قبل فى الاسواق وساحات المدينة ، وكما سمعنى فيها كثير منكم وفى غيرها من الأماكن، فلا تغربوا فى الحيرة والعجب ، ولا تقطعوا على سياق قولى . ولقد يحسن بى الآن أن اشرح لكم حقيقة حالى . فأن هذه الساعة هي أول فترة من عمرى ، وقد بلغت السبعين ، وقفت فيها ادافع عن نفسى فى محكمة قضائية ، وجهت الى فيها تهمة ما . ولذا تجدونى غريباً عن الاصطلاحات التى استأثرت بها المحاكم

من لغتنا . اما وقد سمحتم لى بالكلام كما لو كنت بعيداً عن لغة ومحجة ولدت وربيت بعيداً عنها ، فانه يخيل الى أنه من حق أن اسألكم الاصغاء وأن تتحملوا سماع ما أقول حسن لديكم أم قبح ، وأن تصرفوا اذهانكم الى تحقيق قضية واحدة لاتتعدد ، بل هى مقصورة على امر واحد هو . « هل ما تسمعون منى صواباً أم غير صواب » هذه هي فضائل القضاة العدول ، كما أن فضيلة الخطيب مقصورة على أن ينشد الحقيقة المطلقة .

— ٢ —

والآن يا أبناء أثينا ، اذ تممت اقناع من نفسى ، يحسن بى أن اسلك سبيل النظر في أول ماوجه الى من تلك التهم المفتراة ، وفى اول من اتهمنى منكم ، ثم اعقب عليهم بمن تبعهم . وانكم لتعلمون ان من اتهمنى وافترى على منكم يخطئهم العد ، وقفوا من قبل خلال سنين عديدة يرددون صدق افترائهم . وانى من سعايتهم أشد خشية وأكثر خوفا من سعاية « انيتوس » وعصبته ، ولو أنها عصبة رهيب كيدها ، مخيف مكرها . ومع هذا فان الاولين ، يا أبناء أثينا ، هم أولئك الرجال الذين ربوكم من صغركم وظلوا قوامين عليكم منذ حداثتكم ، وتمكنوا من تضليلكم منذ ذلك العهد البعيد ، قاذفين نحوى من التهم المفتراة ما شاؤوا فلا جرم يكون حذرى منهم مضاعف حذرى من « انيتوس » وعصبته . هم يقولون — « إنه يوجد رجل يقال له سقراط : فيلسوف يتأمل في خلق السماوات وما احتوت من حكمة ، ويبحث أسرار الارض وما كنزت من علم ، ويقلب الحقائق حتى ليصور لسامعه حسناً ما ليس بالحسن » . هؤلاء الرجال ، يا أبناء أثينا ، هم الذين نشروا عنى فى الاقطار هذه الاقاصيص ، وهم الذين أحذرهم وأمقتهم ، لان من يصغى اليهم يخيل اليه أن بديهة العقل تقضى بأن من يبحث هذه المسائل يسلم به البحث الى الزندقة وانكار وجود الله . وعلى الرغم من أن متهمى كثيرون ، فانهم أخذوا يتهموننى أمامكم منذ سنين عديدة اذ كنتم فى

أول سنى عمركم معدين لقبول كل ما يأتونكم به عنى لقصر عهدكم بهذه الحياة وقلة تجربتكم . فقد كان العديد الاوفر منكم فى طور الشباب والفتوة وأجريتم على أحكاما ظنية ينقصها شرط أساسى من شروط العدل وقواعد الانصاف ، هو بعدى عنكم وغيبة من تسمعون منه الدفاع عن مسألتى . ومما يزيد أمرى منكم ريبة ، أنه لا يمكن أن أعرف كل متهمى وأعين أسماءهم . وكذلك لا يمكن أن يؤخذ بأقوالهم ، مالم يكن فيهم رجل معروف يمثل شخصيتهم ويحدد مسؤوليتهم . فان من الذين اتهمونى ، وصرفوا كل عنايتهم في سبيل تضليلكم وغرس النفرة فى قلوبكم للاجحاف بحقوق ، نفر قد أقنعوا البعض منكم ؛ لانهم بأنفسهم قد أقنعهم غيرهم ايهاماً وتضليلا ، فورث بعضكم التضليل عن بعض ، منذ سنين . ومن الصعب أن أسلك مع هؤلاء سبيل النظر فى أمرى . وليس فى مستطاعنا أن ندعو الى هذا المكان نفراً منهم ونناقشهم الحساب على ما جنوا . فعلى الآن مثل رجل مضطر بطبيعة مركزه أن يدافع عن نفسه ازاء خيالات وأشباح صورها له الوهم ، وان يناقش القضاء حيث لا مجيب . لذلك يحلو لى أن أبين لكم أن متهمى قسمان . فالأولون هم الذين يتهمونى هذه التهمة أمامكم : والآخرون هم الذين أتكلم فيهم الساعة . وانهم لأبعد من هؤلاء فى نظرى خطراً . ويجب أن تتحققوا أنه ينبغى على أن أدافع عن نفسى أمام هؤلاء قبل غيرهم ، لأن لهم خطر السبق فى اتهامى ، وهم أول من سمعتم منهم هذه التهم فى ، وكانت حداثتكم أول ما حدى بهم لكي يفسحوا لانفسهم فيها مجالا واسعاً . وانه ليخيل الى ، يا أبناء أثينا ، انه يجب على أن أعمل جهد استطاعتى حتى أخرج من أذهانكم خلال هذه الفترة القصيرة ما علق بها من آثار تلك النمائم والوشايات الكاذبة ، التى وجدت أرضاً خصبة أينعت فيها ثمارها . وانى لأتمنى من صميم قلبى أن أصل وإياكم الى هذه الغاية المرجوة ، وأن أنجح فى الدفاع عن نفسى ، اذا كان فى ذلك خير لى ولكم . غير أنى أظن

ان مهمتي صعبة شاقة ، رغم انى لست محيط تمام الاحاطة بها . والآن نترك النتائج لمشيئة الله . فواجبي أن أطيع القانون وأن أبدأ في الدفاع عن مسألتي .

— ٣ —

على ما تقدم من القول ينبغي على أن أبدأ ببحث تلك التهمة التي بني عليها ما يعزوه الى « مليتوس » و يتهمني به . ماذا يقولون في دعواهم ضدي ؟ أرى من الواجب أن أعتبرهم مدعين قضائيين فاقرأ لكم قرارهم الذي بنوا عليه أساس التهمة . يقولون — « ان سقراط شوكة حادة في جنب حكومة البلاد ، وانه يعد مجرماً لبحثه الكائنات الارضية والسماوية والاجرام العلوية والطبيعة وما بعدها . وأنه يضلل الغير بأضاليله الكاذبة ، حتى ليقلب لهم الحقائق ويفسدها» . هذا مايقولون ، وتلك هي التهمة التي تشكلت بها أقاصيصهم . ولقد أتاكم « ارسطوفانيس » من قبل هذا في روايته الهزلية بطرف منها ، اذ جعل بطل الرواية شخصاً يقال له « سقراط » يحمل في دن ، ويدعي أنه يجتاز أطباق الهواء ماشياً على قدميه ، ويسفسط كثيراً في أمور ذكرها ، مع انى لا أعلم منها ، بأذوى رحمى ، شيئاً قل أم كثر . ولست بقائل هـذا القول ازدراء مني وتحقيراً لما يمكن أن يكون لهذه الأمور من الشأو والخطر اذا برز أحدكم فيها . أيمكن لمليتوس أن يوجه الى مثل هـذه التهمة بعد ؟ إن الحقيقة ، يأبناء آثينا ، انى لا أعلم من هذه الأمور شيئاً . انى لأدعوكم جميعاً ، أو أدعو السواد الأعظم منكم ، أن يكونوا في هذا الموقف شهودي العدول . أمت أن يكون بعضكم لبعض ظهيراً واسأل الذين سمعوني من قبل ، وجلكم سمع منى كثيراً ، هل طرق سمع أحدكم كلمة واحدة فهت بها لها علاقة بهـذه الموضوعات أو مايجري مجراها ؟ من ذلك تتحققون أن الاقاصيص التي تتلقفونها من أفواه العامة عنى ، لا تختلف عن هـذه شيئاً

— ٤ —

إن بعد هـذه التهمة عن حقيقة الواقع ، لايجعل لها وزنا يقام، ولا لغيرهامما سمعتم من الكثيرين من انى أجعل الكسب المادى رائدى في بث تعاليمى : ولا أظن أن هناك نخراً كبيراً في أن أتبع في نشر التعاليم وتلقين مبادىء الحكمة ، تلك الطرق التى يتبعهـا « جورجيادس » الليوتونى ، أو « بروديكوس » الكيوسى ، أو « هيبياس » الأليسى . إن هؤلاء ليهبطون أية مدينة من مدن بلادكم التى تعرفونها ، فيغشونها كما تغشى سحابة الصيف أديم السماء الصافية ، و يبذلون جهـد مستطاعهم ، حـتى يجتمع من حولهم بعض من الشبان الذين ينضمون الى غـيرهم من بنى جلدتهم من غير أن يخصص عليهم أستاذهم أجراً ما . وبهذه الطريقة يمكنهم أن يستدرجوا الشبان ويغروهم على ترك الجماعات الأخرى إلى جماعتهم ، ثم يرهقونهم فيما بعد بما يأخذون منهم من المال أجراً على تعليمهم . وما أبعد هذا عن سنن الاحتشام والأدب المرضى . ولم أذهب بكم بعيداً ؟ فلدينا فيلسوف آخر من « بيروس » يوجد الآن فى بلدة أعرفها . وذات يوم وقع لى أن أقابل صديقاً لى انفق من ماله على السفسطائيين اكثر مما صرف كل مولع بالحكمة على غيرهم ، وأعنى به « كاليوس » بين « هيبونيكوس » وله ابنان ، فعن لى أن أسأله سؤالا : فقلت له :

« ياكاليوس، اذا فرضت أن ابنيك لم يكونا انسانين ، وكانامهرين كريمين أو ثورين ضخمين ، اذن لاكتريت لهماسائساً يقوم بواجب خدمتهما ونظافتهما وجعلهما زينة وقنية طيبة . ولنفرض أن هذا السائس يكون زارعاً أو مربياً للخيول . غير أنهما ياكاليوس من بنى الانسان وتربيتهما عليك حق مفروض . فهل فكرت فى مرب لهما يقوم بتثقيفهما ؟ وهل يوجد انسان يمكنه أن يعرف ما ينبغى أن يكون. الفرق بين الفرد المطلق ، و بين الفرد الذى هـو تابع لرعوية الحكومة ؟ انى أعتقد أنك فكرت فى هذا الأمر لأن لك أولاداً . وهل يوجد

ذلك الشخص أم لايوجد ؟ فأجابنى بأن « نعم من المحقق ان شخصاً كهذا لابد من أن يكون موجوداً » . فسألته أو تعرف من هو ، ومن أين أتى وكم يأخذ من الأجر على تعليمه الاولاد ؟ فقال . انه « اينوس » وقد أتى من « بيروس » ، ويأخذ خمسة أمنان على كل طفل » — عند ذلك علمت ان « إينوس » هذا اسعد الناس اذا كانت له هذه القدرة الفائقة ، ونفسه راضية بهذا الاجر الزهيد ! ! ! اما اذا كان لى مثل هذه القدرة ، إذن لقمت فى الناس وتظاهرت بالعظمة ؛ ولقذف بى حب الجاه الى التيه عليكم ، والنيل منكم ، ولكن ليس لى هذه القدرة أيها الآثينيون .

— ٥ —

قد يقول البعض منكم ـ ياسقراط : ماذا يمكن أن تكون تعاليمك؟ وما الذى آثار من حولك هذه الجلبة ، وأقام ضدك هذه الدعاوى ؟ من المحقق انك اذا لم تكن قد فعلت إلا كما فعل غيرك ، لما علت الجلبة من حولك ؛ مالم تكن قد أتيت أمراً إداً خالفت فيه بقية الناس ! يجب أن نعلم منك ماهو ذلك الأمر حتى لانترك وانفسنا ، فيكون لنا الحدس منك شبحاً موهوماً » .

يظهر ، يا أبناء أثينا ، أن هذا سؤال ذو قيمة ، وساعمل جهد استطاعتى حتى أوضح لكم ماهى الوسائل التى نشرت عنى هذه الاقاصيص ، وروجت هذه الاشاعات الكاذبة . فاصغوا الى إذن .

سوف يسبق الى حدس البعض أنى أسخر منكم أو استهزىء بكم . ولكنى أؤكد لكم أنى لن أقول إلا الحق . والحق ، يا أبناء أثينا ، أن الذى نشر اسم سقراط فى عرض البلاد وطولها ضرب من الحكمة العقلية اكب على درسه واوقف على بحثه سنى حياته . لااقل من هذا ولا اكثر . وماذا يمكن أن تكون هذه الحكمة العقلية ؟ قد يتفق ان تكون هى الحكمة اللائق ببنى الانسان معرفتها . ويحتمل أن اكون جهبذاً كبيراً فى هذا الضرب من الحكمة . على أن من

ذكرت لكم الآن أسماءهم قد يكونون جهابذة مبرزين في ضرب آخر من الحكمة أبعد مما يتسنى لبنى البشر معرفته ، أو غير ذلك من صنوف المعقولات، مما لا اقدر على تحديده لكم.

انى أتوسل اليكم أيها السادة . أن لاتقطعوا على سياق قولى ولاتهوشوا على، ولو أنكم ظننتم انى قلت ماقلت تيهاً بنفسى وعجباً .

ان الكلمات التى أقولها لكم الآن ليست لى . بل انى اسندها إلى خطيب طالما أحنيتم له الرءوس اجلالا . أما الشاهد الوحيد الذى سأشهده على ما اشتغلت به من ضروب الحكمة — إذا سمحتم لى بأن أدعوها حكمة أو شيئاً من طبيعتها — فهو ذلك الآله الذى يسكن « دلفى » . وأظن أنكم تعرفون « شيريفون » . إنه كان صديقى منذ نعومة أظفارى وطفولتى ؛ وهو صديق نظامكم الديموقراطى أيضاً . إنه رافقكم إلى المنفى وعاد معكم (١) . وإننى لاعرف حق المعرفة طباع « شيريفون » وصفاته الاخلاقية ، وغيرته على كل عمل القيت اليه مقاليده ، إنه هاجر الى « دلفى » وحملته شجاعته على أن يسأل الصوت الآلهى سؤالا :

انى أتوسل اليكم أيها السادة ان لاتهوشوا ولا تقطعوا على سياق قولى فيما اقول .

سأل الهاتف إن كان يوجد رجل أعقل منى . فاجابته راهبة المعبد بان الصوت أجاب سلباً . وعندى على صدق روايتى هذه شاهد عدل هو أخو

---

(١) بعد أن خضعت سبارطة عام ٤٠٤ ق . م . تقوض فى آثينا عرش الحكومة الديموقراطية . فاجتمع بعد ذلك مجلس من ثلاثين عينا من أعيان الآثينيين بصفة مؤقتة فى مبدأ الأمر ، وانحصرت السلطة فيهم ، فظلموا وتعسفوا ، ففر زعماء الحكومة الديموقراطية خوف الموت ، وذهبوا الى منفاهم . وبعد سنة انقلبت الاحوال . ورجع الديموقراطيون ووطدوا اركان الحكومة الديموقراطية الحرة ، وقد عمدوا فى بعض الأحيان الى قوة السلاح حتى استتب لهم الأمر .

(مترجم)

« شيريفون » . لان « شيريفون » يطوى الآن المرحلة الاخيرة من عمر الدنيا.

— ٦ —

اسمعوا الآن لماذا أقول لكم هذا . سأوضح لكم كيف انتشرت عني الاقاصيص الكاذبة .

عندما سمعت رواية « شيريفون » سألت نفسي : « ماذا يقصد الآله بذلك » ؟ والى أى مرمى ترمى اشارته » . ؟ فانني ، والحق يقال ، ماعددت نفسي يوماً من الأيام عارفاً بحقيقة شيء من الأشياء رفيعاً كان أم وضيعاً . فماذا يقصد الآله اذن إذ أشار بأنني اعقل الناس ؟ انه لايكذب ، لان الكذب عليه مستحيل . وظللت فترة من الزمان تائهاً في بحر لجى من التفكير ، أطيل التأمل والاستبصار فيما يمكن أن يكون قصده . وبعد أن مللت التفكير ، ابتدأت أبحث الأمر من طريق عملي ، وخططت لنفسي خطة اخذت فى تنفيذها بان ذهبت إلى رجل من الذين أتوسم فيهم العقل والحكمة ، ظناً مني بان ادفع قول الهاتف وأقول له — « هو ذا رجل أعقل مني ، وقد قلت بأني أعقل الناس » .

وعند ما حققت النظر فى الرجل — ولا يجدر بى أن اذكر اسمه وهو من بنى جلدتكم يا أهل أثينا — أمكنني أن اعرف مكنونات صوره ومكنوزات طبعه ، وتمكنت من تجربته ومحادثته ، وعرفت أنه يخيل الى الكثيرين ان فيه فضلا وعقلا راجحاً وهو منهما براء . وعندها تعمدت أن اظهر له انه يعتقد بنفسه و يظن انه عاقل زوراً ، فى حين أنه ليس عاقلا ولا أديباً . فتفجرت ينابيع الغضب من وجهه ونفر مني ، وجاراه فى غضبه كثيرون ممن سمعنا ، فتركتهم وذهبت مفكراً في أمر نفسي . وهنا تبادر الى أنني على أية حال اعقل من هذا الرجل . ومن المحتمل أن يكون كلانا غير عالم بشيء من حقيقة الخير المحض أو الجمال المطلق ، غير انه يظن انه يعلم منهما شيئاً وهو افرغ من وعاء . اما انا فان كنت استوى معه في الجهل فلست مدعياً . ومن هنا وضح لى انني أعلى منه فى العقل ذروة ، لانه لايخيل لى ، على الاقل ، انى اعرف اموراً

لا اعرف منها شيئاً . فتركت الرجل وسعيت الى غيره ممن توسمت فيهم العقل والمعرفة ، فكان أمرى معهم ، كأمرى مع هذا الرجل ، ولم تخطىء تجربتى احداً منهم . يولون من وجهى غضابى ، او هم يفرون من قوة الحق الصراح .

— ٧ —

وهكذا لم اترك احداً منهم الا خبرته ، حتى اتيت عليهم الواحد تلو الآخر . غير خاف على ما كان يقع منهم وراء الستار ، حزين لما يقع ووقع لى معهم ، شديد الخوف من أن ينتهى الامر باهانتى . غير انى على الرغم من هذا كنت اشعر دائماً انه يجب على أن اضع كلام الصوت فى المنزلة الأولى من نفسي ، وان اذهب فى بحثه الى الغاية القصوى ، وأن اختبر كل من اتوسم فيهم العلم والمعرفة ، لعلى اقف على حقيقة مايقصده الصوت من قوله . واليكم ياأبناء أثينا ، نتيجة بحثى وعنائى .

لقد توصلت خلال بحثى الى نتيجة من النتائج ذات شأن كبير . عرفت أن اكثر الناس شهرة اشدهم قصوراً وجهلا ، وأن الذين يظن فيهم انهم أقل منهم فى العلم منزلة ، اكثر منهم حكمة ، واغرز مادة ، واحد ذهنا ، وأقوم بديهة ويجب على أن اظهر لكم في هذا الموقف المهيب ان مجهوداتى في سبيل اظهار ان ماقاله الصوت كان حقاً ، اشبه بمجهودات « هرقل » فى حروبه . فبعد أن أعيتنى الحيل في رجال السياسة ، عمدت الى الشعراء ، ومنهم إلى مؤلفى الروايات ثم الى كتاب الاغنيات ، تخيلا منى اننى اعمل عملا وأسعى سعياً ، فما وجدت نفسى الا اشد منهم قصوراً ، واعلى منهم فى الجهالة كعباً . فطفقت ابحث اشعارهم التى يخيل الى المرء انهم صرفوا فيها كل قوى مخيلتهم وحكمتهم ، وسألتهم عما يقصدون منها ، لعلى اعرف منهم جديداً ، او اعلم مالم اكن اعلم من قبل . والآن ، يأهل أثينا ، ان وجهى ليندى مما اقول ، وقوله على ضربة لازب :

وجدت ان كل من حضر ندوتنا امكنهم أن يعرفوا من الاشعار ويتكلموا فيها بعبارات اشد طلاوة مما فاه به واضعوها . غير أننى بعد ذلك ثبت الى نفسي ، وأدركت ان أوضاع الشعراء لا تبنى على الحكمة ، بل على سليقة خاصة أو إلهام ما ، كما هى الحال في الانبياء . وإنهم ليأتون فى أشعارهم بالحكمة وفصل الخطاب، غير أنهم لا يفقهون مما يقولون شيئاً . ولقد ظهر لى أن الشعراء لا يتغيرون، بل يظلون على وتيرة واحدة أكثر أيام حياتهم .وقد اتضح لى أنهم يتيهون عجباً ويظنون أنهم ذوى عقل وحكمة ، وانهم يعرفون أموراً كثيرة كشفت لهم أسرارها دون بقية الناس ، وهم فى الحقيقة لا يعلمون شيئاً . لهذا تركتهم علماً منى بأن لى عليهم من خطر السبق فى الجهل مالى على رجال السياسة .

— ٨ —

انتهى بى البحث الى العمال الذين يحرزون كسبهم بقوة سواعدهم . وكنت أشعر دائماً بأننى غير عالم بحقيقة شيء يمكن أن يكون له قيمة ذاتية ، بل كنت أعتقد أن هذه الطبقة من الناس على علم باسرار غريبة تأخذ بالعقول والالباب ، فلم تخطىء فراستى فيهم . وجدت أنهم يعرفون أمورا كثيرة لا علم لى بها ، ولا دراية لى بحقائقها ، فهم بطبيعة الحال أعقل منى وأوسع معرفة. غير أن طبقة العمال، أيها الآثينيون ، لم يكونوا أقل من الشعراء حظاً فى الاعتداد بأنفسهم . فكل منهم يعتقد أنه فى صناعته أعقل من كل الناس ، وأوقف على أسرار الصناعات من غيره ، تيهاً واعتداداً بنفسه . وهذه الخلة محت حسنات علمهم ، وحجبت عن الاعين حكمتهم . وعند ذلك سألت نفسى بالاصالة عن الصوت ، عما اذا كان ينبغى على أن أكون على ما أنا عليه ؛ بعيداً عن حكمتهم الصناعية وجهالتهم من الاعتداد بأنفسهم ، أو أتشبه بهم فى كلا الامرين . ولقد أجبت نفسى على

تساؤلى هذا ، و بالاصالة عن الصوت ، أنه من الحكمة أن أبقى على الحالة التى أنا عليها .

— ٩ —

هذا البحث ، يا أبناء أثينا ، هو الذى أوغر الصدور منى ودفع بكم الى الحقد على والنيل منى ، باشد ما يظهر الحقد فى أخبث لبوسه والأم ضروبه . وتبع ذلك سلسلة من النمائم والوشايات افتريتموها على وكنيتمونى بسقراط « الحكيم أو العاقل » . فان الذين كانوا يلتقون بى يظنون انى عاقل حكيم ، وكنت أعمل جهد استطاعتى حتى أخرج من رؤوسهم و رؤس غيرهم هذه الفكرة . والحقيقة ، يا أبناء أثينا ، أن العقل والحكمة لله . ومن المحتمل أن الصوت لم يقصد من قوله الا أن يقول لكم إن الحكمة التى تصل اليها العقول البشرية دنيئة لا يعتد بها ازاء الحقيقة المطلقة . ويخيل الى أنه لم يقصد شخص سقراط الذى يتكلم فيكم الآن ، وانما اتخذ اسمى علماً جامعا قصد به النوع البشرى : كأن يقول لكم : « أيها الناس — ان أعقلكم هو الذى يعلم كما يعلم سقراط أن عقله وحكمته لا يغنيان شيئاً » .

هكذا كانت نتائج ابحاثى القصية منذ تلك الساعة حتى اليوم ، مدفوعاً بواجب الطاعة العمياء لذلك الصوت حينما صادفت رجلا من بنى جلدتنا أو أجنبيا عنا ، اشتهر بالعقل أو وصف بالحكمة ، فاذا لم يظهر لى أنه عاقل عملت بما ألهمنى به الله ربى ، و بينت له أنه ليس بعاقل ولا حكيم . وكنت خلال هذه الفترة التى أبحث فيها بحثى المتواصل لأظهر حقيقة ما يقصده الصوت من قوله ، مكباً كل الاكباب على عملى حتى انى لم أترك لنفسى من الوقت ما انفقه فى عمل ماغير هذا ، حتى نسيت شؤونى الشخصية ومصالحى . واننى كما ترون أعيش عيش الفقر المدقع و الفاقة الماسة لاتفرغ للقيام بواجباتى نحو الذى فطرنى .

— ١٠ —

ولم يقف بى الامر عند هذا الحد . فان الشبان الذين يتبعون تعاليمى ،

والذين لهم من الوقت متسع ـ وهم أبناء الاغنياء ذوى الاموال الطائلة ـ قد وجدوا فى مناقشتى الناس لذة لهم ونفعاً ، فعملوا جهد ماوصلت اليه قدرتهم ، على حفظ أقوالى وتسطيرها، وأخذوا فى سؤال الناس أسئلة كثيرة ، ليختبروهم بها ، وليقفوا على مبلغ علمهم وحكمتهم . وأنه يخيل الى أنهم لم يجدوا من بين الرجال الذين حادثوهم ، رجلا يعرف شيئاً من الحكمة ، بل قشوراً لاتسمن ولاتغنى من جوع . فمن يتفق أن يناقشه تلاميذى يدفع به الغضب الى التحامل على دونهم ، و يقول إنه يوجد رجل يقال له سقراط ، اتخذ التضليل ديدناً ، وغرس مبادىء الشر والرذيلة حرفة، فافسد الشبان ، حتى اذا سألتهم عما يقول سقراط هذا وماهي مبادىء حكمته وأساس تعاليمه ، خرست السنتهم ، وصمت آذانهم ، ولم يقووا على اخراج كلمة يتفوهون بها لجهلهم مبادئى وتعاليمى . غير أنهم تخلصاً من حرج ذلك الموقف الذى يلقون بأنفسهم في غماره ، يأخذون فى سرد تلك التهم التى يوجهونها إلى كل فيلسوف عدت فلسفة أحد ادراكهم، قائلين إنه يتكلم فى خلق السماوات و يبحث فيما تحت الثرى ، و يغرى الناس على نبذ المعتقدات الدينية وفكرة وجود الله ؛ و يظهر للناس حسناً ماليس بالحسن . انهم لايتجشمون مشاق البحث وراء الحقيقة لينشروها بين الناس ، و يعتقدون أنهم على شيء من الحكمة واصولها ، وهم في واقع الأمر لايعرفون شيئاً . غير أنهم على جهلهم وطماعيتهم وسعايتهم ، قد تمكنوا بكثرتهم وترتيب أعمالهم وسيرهم على نظام موضوع ، ان يملؤوا رءوسكم بأضاليلهم وما نشروه عنى من مخازيهم الجلى . وتبعهم في ذلك مليتوس وأنيتوس وليقون . فأخذ مليتوس قيادة الشعراء ، وأنيتوس قيادة العمال ورجال السياسة ، وليقون قيادة الخطباء : حتى أنه ليكون من المعجزات ، كما قلت لكم من قبل ، لو يسعدنى الحظ العاثر بان أخرج من أذهانكم خلال هذه الفترة القصيرة التى سمحتم لى فيها بالدفاع عن نفسى ، آثار تلك الاقاصيص التى نشروها عنى . هذا هو الحق الصراح يا أبناء أثينا . لم اترك حقيقة ، ولم اخف عنكم أمراً ، كبر

شأنه أم صغر . وعلى الرغم من هذا فانى موقن بانى قد استثرت بذلك عواطفكم وحركت احساساتكم ، ونبهت نائم حقدكم . وفى ذلك الدلالة الواضحة على أن ماقلته هو الحق ، وأن التهم التى توجهونها الى لم تخرج عما وصفتها به فى درج كلامى ؛ وأن فروضى صحيحة ، وأن استنتاجاتى أصح . ولو تدبرتم الأمر او عانيتم مؤونة التفكير فيه من بعد ، لما عدوتم حقيقة شيء مما سمعتم .

— ١١ —

ارى أن فيما قدمت من القول ، هو كل ما فى الدفاع عن مسألتى أزاء متهمى الأول، والآن أبدأ فى دفع اقوال مليتوس — الرجل الوطنى الخير كما يكنى نفسه؛ وأدحض ببرهانى مايقذف به نحوى من التهم المفتراة ، هو ومن تبعه . وهؤلاء هم القسم الثانى ممن وجه إلى التهمة منكم . ولأشرح لكم الآن قرارهم الذى يتهموننى فيه . هم يقولون « أن مليتوس يؤكد أن سقراطاً مجرم . لانه أفسد الشبان وهوش عقولهم ، وأنكر الاعتقاد بالآلهة الذين يستمسك كل من فى المدينة بالايمان بهم والاعتقاد فيهم ، وأنه خلق من قوة الوهم قوى آلهية اخرى احلها محل تلك » . هذه كل تهمتهم التى يوجهونها إلى . فلنبحثها لعلنا نستبين وجه الصواب . انه يقول بانى أفسد الشبان وأهوش عقائدهم . غير أنى أدفع هذا القول ، أيها الآثينيون ، بانه هو نفسه مجرم في اشياء أخرى جديرة بالنظر والاعتبار : انه مجرم فى أن يدفع إلى المحاكمة رجالا يوجه اليهم تهما سخيفة مثل التى تسمعونها الآن، مدعياً أنه يعنى كثيراً بأمور لم يوجه ذهنه ساعة إلى التفكير فيها . وسأظهر لكم حقيقة ما اقول .

— ١٢ —

تقدم يامليتوس وخبرنى : انك تعتقد أن من الواجب أن يكون الشبان خيرين فضلاء بقدر ماتسمح بذلك الظروف .

— نعم

— وهل لك أن تخبر هيأة المحكمة عمن يسلكم الصراط المستقيم ويهديهم السبيل السوى ؟ من البين أنك تعرف ذلك الرجل ، مادمت قد فكرت فى الامر ، وتقول بأنك اهتديت إلى من يهوش عقولهم ويفسد عقائدهم ، موجهاً الى هذه التهمة وسقتنى الى المحاكمة أمام هؤلاء القضاة . نخبرنى بربك اى الرجال يرقى بمستوى اخلاقهم ، ويهديهم إلى الطريقة المثلى ؟ أراك الآن وقد اسكتك حرج الموقف عن الجواب . ألا يتولاك الحجل . ألم أك صادقاً حين قلت انك لم تفكر من قبل فى الامر . غير أنى أسألك مرة أخرى أيها الصديق عن ذلك الرجل.

— إنها القوانين وشرائع الاجتماع لا الرجال .

— كلا أيها الرجل الخير . لست عن هذا أسأل . إنما أسألك أى «الرجال» أصلح لتربية الشبان وهدايتهم . ولاشك ان ذلك الرجل يكون ذا المام بأصول الشرائع

— أقول ياسقراط إن هؤلاء القضاة هم الرجال الذين يقومون بواجب تربيتهم

— أتعتقد حقاً يامليتوس ان هؤلاء الرجال هم أولى الناس بالقوامة على شؤون الشبان ، وهم الذين يرقون بمستوى أخلاقهم وآدابهم فى الاجتماع ؟

— معتقد ذلك كل الاعتقاد

— أيشمل اعتقادك الكل أو البعض منهم لا غير .

— اعتقادى يشملهم جميعاً .

— حسن . حسن . انها لثروة عظيمة من الخيرين والزعماء . وماذا تقول فى المحلفين ؟ هل يمكنهم أن يقوموا بعبء ذلك ؟

— أى نعم فى مستطاعهم

— وماذا تقول فى أعضاء المجلس ؟

— وهؤلاء أيضاً .

— حسن يا مليتوس وماذا تعتقد فى أعضاء الجمعية وهذا الجمع الحاشد

انهم لا يهوشون شبابك ولا يفسدونهم على ما يخيل الى . الا تقول أيضاً انهم يصلحون للامر .

— أى نعم . كل هؤلاء بالشبان موصى وعليهم قوام زعيم .

— اذن: فالكل ماعداى يصلحون ! ! ! يتضح من قولك أن كل من فى « أثينا » يصح أن يكون للشبان هاد ، وأنا من دونهم رئيس عصبة الزنادقة وزعيم الضلالة الكبير . الست ذلك تعنى ؟

— لم تخط ياسقراط الصواب .

— واسوأتاه . ما اعثر جدى . ولكن اجبنى . ألك هذه الفكرة عينها اذا بدلنا الشبان بالخيل . اتعتقد أن كل النوع البشرى برمته موفق في تربية الخيل ورياضتها، الا شخصاً واحداً يميت نسلها ويبيد نوعها ؟ ام على العكس من ذلك تعتقد انه يوجد فرد واحد ، او على الاكثر نزر يسير من الناس هم الاقلية العظمى ، يمكنهم ان يزيدوا نسلها ويحسنوا من صفات انسالها ، وأن العديد الاوفر والاكثرية الكبرى هم الذين يبيدونها . اليس الامر كذلك ياميليتوس فى الخيل وبقية انواع الحيوانات كافة ؟ لا ريبة فى ان هذا هو الواقع ، اعترفت به انت وأنيتوس أم لم تعترفا . وانه من سعود هذا الزمان ، بل ومن حسناته البالغة ان يكون فى طول أثينا وعرضها ، رجل واحد يضلل اهلها ويسلكهم مسالك الفساد والرذيلة ، بينما تهديه البقية الى الطريقة المثلى ! ومع هذا فقد برهنت ياميليتوس على انك لم تحلل العناية بامور الشبان محلها من الشأن والاعتبار ، وأبنت لكل ذى بصيرة أن عنايتك بهم عدم صرف ، وانك لم تفكر قط فى الامر الذى من اجله توقفنى اليوم فى موقف الاتهام ، وتنزلنى منازل المجرمين .

الرومانتيسم

Romantisme

— ٢ —

وقبل أن نذكر قصة « كلاريس هارلو » الروائى الانكليزي و« ريشاردسون » — خالق القصة الانكليزية الحديثة — وقصة « فرتر » للشاعر الالمانى « جوته » يجب ان نعلم أنه أنشت في فرنسا اثناء القرن الثامن عشر قصص كان اغلبها بلا قيمة فنية وتنوسيت على عجل. الا انها تشهد بتبدل صورة الحياة عما كانت عليه فى القرن السابع عشر . تغيرت الحياة وصورتها فى القصص . فان التحليل وقرع الحجة بالحجة ليس سوى « الاصغاء الى صوت القلب » و« تذوق حلاوة العاطفة » والاحساس « بشعور قلبي عنيف ورقيق معا » وافراز « سم الشهوات التى تلتهم » او « حلاوة بأسائها » او البحث عن « ملاذ في الآلام التى لاتكاد تخلو من حلاوة . والاستسلام الى كآبة الملاذ الوحشية ولواعج العاطفة اليائسة وتوخي الراحة فى المحال . كذلك كانت طريقة « جريسين » (١٧٤٥) والاب بريفو (١٧٣٥) فقد كان ابطال رواياتهما يكابدون مرضا روحيا عضالا بلا سبب ولا علاج تأصلت فى نفوسهم الكآبة والحزن والحاجة الملتهبة وغيوب شيء حسن غير معروف ، وأحسوا الفراغ واليأس ولم يتحولا من الضجر الا الى الاسف وملل الحياة

فى تلك القصص يبطل حب الطبيعة الهادئة المنسقة . وانما تحب الطبيعة الوحشية بما توحيه من اهواء وما تبديه من مستغربات . وكان التروض في الطبيعة عادة شائعة فى القرن الثامن عشر . وكان المتروضون كثيراً ما يلذهم الهواء الطلق فى باديء الامر. وانما كانت تلذهم على الاخص التأملات الشعرية

ذات التأثير . كانوا يتذوقون التأمل في ضوء القمر وصوت البوق في جوف الغابة والدوحات الباسقة والمستنقعات والدمن .

وكانت « مودون » و « مونمورانسي » و « فونتنبلو » ملجأ للعشاق وملاذ للقلوب التى خابت آمالها وانتابها اليأس . وابتدأ الجيل يعرف حياة اخرى غير حياة « الصالونات » وصار الكثير من ذوى النفوس العظيمة يلجؤون الى الطبيعة للحصول على ارشادات فى الحياة ، وقوى تعين على الالم وملاذ ينسون فيه همومهم . وحسبنا ان نستدل على ذلك من رسائل مدموازيل « ليسبيناس » و « مدام اوديتو » او الكونتسه دى سابران .

وسرعان ماضاقت وديان فرنسا وريفها وطبيعتها عن ان تسع المتروضين . فجعل البعض ينشد فى سويسرا وفي الجبال تأثيرات اقوي واشد سيطرة وإمتاعا للنفس . وفى سنة ١٧٥٠ صدرت اشعار عن سويسرا للشاعر « ألر » « جبال الالب » — تذوقها جمهور المتأدبين بلذة . وقد لفتت الانظار الى مشاهد جايلة مجهولة . فابتدؤوا ببحيرات جنيف و « بين » و « تون » ومصاعد الجبال المتوسطة . ثم ترقوا الى وديان الثلج . الثلج الابدى فى سويسرا . وذهبوا ينشدون اجل بواعث الحماسه فى الطبيعة . الطبيعة التى تعجز بلاغة الالفاظ عن وصفها . وإن ألحان الكنائس لتبدوا اصواتا صماء الى جانب خرير المياه المنحدر من الجبال .

وأثرت تلك المناظر الطبيعية فى الفرنسيين تأثيرا افضى الى الاستعانة بالصنعة على تبديل المناظر الريفية فى بلادهم . وعلى الاخص الحدائق والبساتين . فان اصحاب القصور الريفية والرياض قرروا ان يغيروا الاطار الذى يحيط بقصورهم وان يبدلوا مناظر حدائقهم ونظام تنسيقها . وقد عنى المصوران « واتو » و « لانكريه » باظهار ذلك التطور فى الواحهما . ومن بعد سنة ١٧٥٠ شاع الاعجاب بالصخور الهائلة والسيول المزبدة والزوابع والامواج الثائرة وحوادث الغرق وكل ماهو جليل مروع . واعرب المصور « جوزيف فرنيه » فى لوحاته عن ذلك الذوق الذي شاع فى عصره . وكان الكثير من

النبلاء والسراة يوصونه بتصوير « زوبعه هائلة » او « سيل ماء مزبد عرم ينحدر من الصخور و بين الاشجار فى غابة موحشة عذراء » . وذلك كان ذوق الجيل الفرنسى الذي خص بحبه سويسرا وثلوجها وجبالها وبحيراتها .

وترقت مودة الحدائق الانكليزية ذات المماشى الغريبة التنسيق . وتحكم الخيال والهوى والنظام الشتيت فى كل شيء . وخلق كل مايمكن ان يفتن الارواح الرقيقة والمشاعر اللينة ويغذى الخيال

وتطور الشعور بما يؤثر تأثيراً وديعا ليناً كالمناظر الريفية والرعاة والاكواخ واصطبلات الالبان والابقار السمان الوئيدة المشي . والخراف ذات العجيج — على مثال التصاوير التى زينت بها « اقاصيص » جسنر وحكايات الرعاة للشاعر « فلوريان » — تطور الشعور الى المناحي الاسيفة الكئيبة فى الطبيعة. الانحاء المقفرة والصخور الممدودة المتراصة. والجوانب المنفردة من الحديقة التى يحلو فيها الحلم والاديرة والقناطر المهجورة التى تسكنها الارواح والكهوف التى وضعها « يونج » وهى تلك المناظر التى توحى بشعر الماضى وتسمو بالارواح الى اجل التأملات. هذا الى القصور العتيقة والكنائس المهدمة وقبور العاشقين والغابات الساحرة . وبالاختصار اشتملت الحدائق على كل ما هو ممتع ومنعزل ووحشى ورقيق واسيف وريفى بل على البحيرات ومناظر الخريف. والانفراد التى وصفها « لامارتين » فى « تأملاته » . ولم يكن ينقص العصر وقتئذ غير منشدين مجيدين غير « فوتري » وغير « كولاردو » .

الرجوع الى العصور الوسطى

فى الوقت الذى ترقى فيه الميل الى الطبيعة الوحشية او المنسقة المزدانة بالدمن والآثار القديمة ، ترقى الميل الى العصور الوسطى والى آثار فرنسا الوطنية . ويرجع الفضل الى الكونت دى تريسان الذى اخرج سنة ١٧٨٢ كتاب « منتخبات من قصص الفروسية » فى الميل الى جماعة المنشدين الافاقين « تروبادور » والآداب النظرية القديمة « الجولواز » . وصار ذلك

مودة شائعة . فاعادت قصص وقصائد « الزمان السالف الطيب » الى النفوس الرقيقة بلطفها وبساطتها وظرف اللغة القديمة . وتعددت التآليف والملخصات فى الادب السالف واقاصيص الفروسية الماضية . واعيد نشر اشعار « فيلون » و « شارل دورليان » (١٧٢٣ — ١٧٣٤) وديوان « مارو » الذين لم ينس قط . ولم تعد الاشعار والاقاصيص تخلو من حوادث الفروسية وميادين البراز وحكايات العشق القديم الخ .

ولشد ما كانت التأثيرات الاجنبية فى تلك الحركة التى مهدت للرومانتيسم فى فرنسا وعلى الاخص تأثير انكلترا . فقد صدرت من هذا البلد الاخير قبل سنة ١٧٦٠ عن طريق « فولتير » و « مونتسكيو » نظريات الحرية السياسية والحكم الدستورى . الا ان « اولباخ » و « هلفتيوس » وجماعة الانسكلوبيذيين لم يلبثوا ان تجاوزوا حدود النظريات التى وضعها « اديسون » و « بوب » ومن بعد سنة ١٧٦٠ اضمحل تأثير الفلسفة ومبادىء الحرية الانكليزية .

ولم تكن انكلترا فى الجزء الثانى من ذلك القرن سوى موطن « فيلدنج » و « ريشارد سون » و « يونج » و « اوسيان » والاولان على الاخص استحوذا بتأثيرهما على الارواح الرقيقة الشعور . ولما كتب « ديدرو » فى حماسة وافتتان جم تقريظه لريشاردسون اعرب ببلاغة عن رأى جميع الفرنسيين في ذلك الروائى المجدد .

وتذوق الفرنسيون المسرح الانكليزى بمثل الرغبة التى تذوق بها القصص الانكليزية . على ان شكسبير حين عرف فى فرنسا صار موضوع جدل ونقد وقد وصفه فولتير بالمعتوه . وشاركه هذا الرأى تقريبا « ريفارول » و « لاهارب » . وكان الممثل « جاريك » وقتئذ مشهورا فى اوروبا . فجعل يمثل امام الفرنسيين منذ سنة ١٧٥١ مقطوعات من « هملت » في الصالونات فابكى النظارة لحالة عاشق « فيرون » والملك اير « الضال في جوف الغابة » و « قلب اوفيليا الكسير » . فلم تلبث الترجمات عن شكسبير ان تعددت

وشاعت محاكاته وتقليد طريقته . وذاع في الملأ الفرنسي صيت « روميو وجوليت » و « عطيل » .

وبذيوع درامات شكسبير كان غزو الروح الانكليزية للروح الفرنسية . والاولى قاتمة وحشية مليئة بالضباب والخفاء ؛ ولكنها عميقة وتعرف كيف تطلع على ما يحرك الخيال ويلقي بالنفس في موجة عميقة من التأثير والهول .

ومن قبل ذلك كان بعض الفرنسيين قد هوى الهدوء الجليل الذي يسود القبور والاموات . غير أنه لم يتغن به الا بما ينم عن التردد والاحجام او بما يدل على الخرق . وينسب الى « هارفي » و « جراى » وعلى الاخص « يونج » — من شعراء الانكليز — الفضل في اشتمال ذلك النوع من الشعر — شعر القبور — على اليأس الذي لا رجاء بعده والمسرات الاسيفة للقلب الذي هجره الكل .

اما « ليالى » الشاعر « يونج » فانها تأملات خطابية ومحاورة مشحونة بالتعابير البيانية والفيهقة المصطنعة . وقد نالت نجاحا عظيما لما ترجمها « ليتورنور » سنة ١٧٦٩ بنثر غير بليغ ، ولكنه كان أشد اصطباغا بالحزن والاسى من الاشعار الاصلية . ولقد حسب البعض ان « يونج » روى قصة حياته . وقد اذرف الدموع على ذلك الاب الذي حفر بيديه في الليل البهيم تحت ضوء مصباح ضئيل قبر فتاته المحبوبة .

وبفضل تلك التأثيرات الاجنبية وبالرغم من سخريات « فولتير » كان نشوء « النوع الحزين » في الادب بالتدريج . ومنذ ذلك الوقت امتلأت أقاصيص « دورا » و « كولاردو » وروايات « باكولار » و« أرنو » و« لوى مرسيبن » بالعواصف والقبور والجماجم وهياكل الموتى والفضاء المملوء بالعناصر الثائرة والجرائم والعذاب الناشيء عن تبكيت الضمير .

وكان لا بد لذلك النوع الحزين في الأدب من إطار يلائمه . وقد خلقه « مكفرسون » . فان أشعار « أوسيان » اشتملت على أجواء الشمال وآلهته والضباب والثلوج والزوابع التي تختلط باصواتها أصوات السيول والرياح

والارواح الثائرة . وفى « أوسيان » يتجلى كل ما اشتمل عليه أدب الشمال من مرثيات حزينة وجايلة ومروعة . ويجب أن نشير هنا الى أنه لم يكن فى ذلك العصر تمييز بين « إيقوسيا » و « الجول » و « إرلندا » و « الدانمرك » و « النرويج » بين بلاد الصلت والبلاد الجرمانية . وانما كان الاعجاب عاماً شاملا بالكل دون استثناء .

ولم يكن ذلك الاعجاب والفرح بالآداب الاجنبية شذوذاً عن سبيل الحكمة . فان الميل الى ما هو أسيف حزين لم يسلم من الجدل والنقد حتى عصر الثورة .

وفي الحق أن شكسبير ويونج واوسيان وسائر الانكليز والصلت والسكنديناف قد أثروا فى فرنسا بأشد من تأثيرهم فى البلاد الجرمانية .

التأثير الالمانى

ظاهر أن تأثير الادب الالمانى الذى كانت حركته الرومانتيكية مبكرة، استشعر فى فرنسا على عجل . هذا فى الظاهر، ولكن الحقيقة التاريخية تخالف ذلك . فقد كانت المانيا بوجه عام مجهولة أو مكروهة قبل سنة ١٧٦٠ . كانت فى نظر أغلب الفرنسيين موطن « كانديد » وقصر « توندر - تانترونك » والمستنقعات النتنة والبارونات البلداوات والنساء السمان الساذجات . وكان رأى فولتير فيهم أنهم فلاحون أقحاح . وقد عرفهم فولتير وكانت لديه الاسباب الكافية للتأفف منهم . الا أن ذلك البلد ما لبث أن أخرج عدداً من الرجال العظماء . وسرعان ما اطلع الفرنسيون على تآليف « فيلاند » التي أدت اليهم ما أعاروه هم للالمان . ثم كان اتصالهم بأفكار « كلو بستوك » وديوان « مسياد » وعرفوا « جيلر » و « هاجيدون » . واذ ذاك علموا ان الالمان ليسوا فلاحين بالدرجة التى وصفها بهم « فولتير » . وانما ساموا بأنهم « سذج » وهم الى ذلك أقوياء الشعور وفضلاء . فجعلوا يتذوقون السذاجة الالمانية والهدوء فى القرى التى تظللها أشجار الزيزفون وقباب الاجراس .

ثم كانت نهاية القرن حيث أظهر « شيلر » و « جوته » للعالم موطنا المانيا آخر أشد حرارة وأكثر رومانتيكية . فنقلت الى الفرنسية رواية « قطاع الطرق » — لشيلر — و « فرتر » لجوته فكانتا موضع إعجاب عظيم

وتوالت الترجمات والاقتباسات من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٩٥ فصدرت عشرون قصة انتهى فيها الحب بالانتحار — على طريقة فرتر — أو ختم على الأقل باليأس التام من الحياة . وصارت الفتيات ترغب فى الاطلاع على « فرتر » وتتأثر بها . فشاعت « النوراستانيا » وصارت مودة بين الفتيان والفتيات . وصار البعض ينتحر قنوطا من الحياة ، كذلك الشاب الذى طعن صدره بخنجر فى « ارمونتميل » أمام قبر روسو .

جان جاك روسو

وليس يكفى التأثير الانكليزى والالمانى وتأثير العصور الوسطى لتفسير الرومانتيسم الفرنسى . فهناك تأثير آخر يفضلهما . تأثير عبقرية فذة أضافت إليهما كنوز شخصيتها القوية وساقت آدابنا بقوة فى سبل جديدة . تلك هى عبقرية جان جاك روسو .

لم يستكشف روسو أدب الشمال . فقد عرف من قبله . ولكن عود الفرنسيين أكثر من سواه على أن يتذوقوا ويشعروا بما فى طريقة الالمان والفرنسيين من جمال ، فوسع بذلك مجال التصور والخيال الذى كان محدوداً .

وطبع الآداب الفرنسية على الاخص بطابع مزاجه الغريب . وبذلك أحدث وحده انقلاباً . فاعاد سيطرة العاطفة فى الادب . وكانت قد اضمحلت منذ نصف قرن وحل محلها الذكاء . وبتآليفه صارت الآداب ظلالا لما يحسه القلب . الآداب التى لم تكن من قبله الأثرة للفكر وحده . وبالاجمال جعل روسو للعواطف القلبية الكفة الراجحة فى الشعر والبلاغة والليريسم . وهو اتساع هام حداً فى أفق الادب .

ولما كان روسو ابن أحد اتباع كلفن من جنيف وتربى خارج التأثيرات الملكية والكاثوليكية ، فقد اعتقد فطرة بالحرية والمساواة الطبيعيتين . ولما كان ذا خلق استقلالى لايخضع لاى قيد أو نظام وعدو لكل تقليد فان ذاتيته كانت مفرطة . وظل في ثورة دائمة ضد المجتمع في عصره فهدم جميع الحواجزالتى تعترض شخصيته أى تعترض لفظة « أنا » التى جعلها ديناً فى الادب . وقد دافع عن ذلك الدين الذي يرمز اليه «بأنا» مقدار ما كان مزاجه الحاد يتطلب من حرية ومن استمتاع .

فبسط جناحى تفكيره ونظره على جميع الاشياء التى تحيط به وتناول بطريقته الذاتية الطبيعة المادية والادبية وكان هو نفسه مادة كتاباته وغايتها وما روته قصته « هيلوئيز الجديدة » عام ١٧٦٠ وكتابه « اميل » عام ١٧٦٢ و« اعترافاته » و« احلامه » عام ١٧٨٢ لايخرج من المأساة الداخلية لشخصه التى تعتلج بين محيط من شهواته وحججه ومحاولاته وافكاره واحلامه وتجاربه . وهو ابداً مستعبد للعاطفة التى تواتيه بسرعة البرق . والعقل عنده هو الخادم المطيع للاحساس لانه خاضع لشعوره الى حد نادر . وقد تميز بذلك عن جميع معاصريه . قال الناقد لانسون « كان وسط الذين يهتمون بالتفكير يهتم بالاستمتاع وبالتألم ... وقد وصل غيره بالتحليل الى الفكرة المستخلصة من العاطفه . ولكن روسو بمزاجه كان مستحوزاً على حقيقة العاطفة . واولئك قد كتبوا ، ولكنه عاش »

وطبيعى ان تقوده شخصيته الى الليريسم ، وبيلاغة ذلك الليريسم اشترك روسو فى الانقلاب الادبى . وقد هز العالم القديم وهدمه . وبرهن على انه محال وعبث . ذلك الكاتب الذى كان موسيقيا بل ذلك الفيلسوف الذى كان شاعراً . ذلك الحوارى الذي كان شاعراً قد سيطر على الافكار بقوة . ذلك لانه استملى من عواطفه ورغباته القوية . وكانت افكاره تشبه ان تكون ممتزجة بحساسيته وشهواته .

ومن اجل ذلك كله يعد بحق ابا الرومانيسم . وكل مايفيض من تأليف

شاتوبريان ولامارتين انما هو منه ولم يتجاوز مجهود « ديموسيه » غير ترجمة روسو في اناته .

ولم يفتح روسو معين الدموع لاغير . بل لقد علم الفرنسيون فى القرن الثامن عشر ان يحسنوا النظر الى الطبيعة . وعلمهم ان يروا المناظر الريفية بمرائيها وحوادثها وصفاتها وان يشعروا بعواطفهم وان يجعلوا لها اطاراً، ومنذ ذلك الوقت صار لمأساة الحياة الانسانية اطارها وذلك من خير استكشافات الشعور الليريكى .

وقد صور في كتاباته الذاتية البيوت الريفية بابقارها واصطبلاتها وحياتها الضجوجة المفرحة وديوكها التى تصيح وثيرانها التى تخور

وصور لمعاصرية ببلاغة جمال مطلع الشمس وهدوء ليالى الصيف ، ولذة الاستمتاع بالريف، وسر الغابات الصامتة ، وكل تلك المناظر التى يمرح فيها البصر ويمتع . وهى مناظر رآها وعاش فيها . وقد صورها بوضوح فنان عاشق للطبيعة .

واطلع الفرنسيون على مدنيات سويسرا والالب والوديان العميقة والجبال الشامخة . وقد كان نجاح « هيلوئيز الجديدة » نجاحا لبحيرة جنيف . فتهافت الفرنسيون على تلك البحيرة ينشدون آثار « جولى » و« سان برو » وتتبعوا آثار روسو نفسه فى الانحاء السويسرية

وكان ممن ساروا على طريقة روسوا من الشعراء والكتاب « سان لامبر » صاحب كتاب « الفصول» وروشيه و « دليل » صاحب«الحدائق» « ورجل الحقل » و « برناردان دي سان بيير » الذي كان من عباد الحياة فى الطبيعة وهو صاحب « الكوخ الهندى » و « بولص ومزجيين و « الحان الطبيعة » الا ان عواقب الحركة الفكرية التى قام بها روسو لم تظهر الا بعد اربعين سنة . اذ صدحت موسيقى الرومانتيسم في فرنسا . ولقد حكم روسو النظرى مع روبسبيير ولكن روسو الموسيقى لم يغن فى عهد المقصلة « الجيليوتن » ونريد ان نقول انه حدث وقت تراخ وخمول فى حركة التجديد الادبية ابان الثورة .

عبد الحميد سالم

الوعود

اذا كان فى دنياىَ شىءٌ أعدُّه
صَدوقاً وإنْ لم أَبله فهو الموْت !
سمعت وعودا فى حياتى كثيرةً
وصدَّقتها لكن تناولها الفوْت
وقد ضحكتْ منىّ ولكننى الذى
ضحكت كأنىَّ بالعقوقِ تَسليت !
كأنىّ (پرومِيس) الذى لم يَنلْ سوَى
شقاء جزاءً للذى كنت أسديت
فانْ صالحَ الأقدارَ بعد تخاصمٍ
فلست مصافيها ولا أنا عاديت
لِتعبثْ بى الاْقدار ماشاء حكمهاَ
فانىّ لَصبارٌ وإنْ أنا عانَيت
وماخوفىَ الإعصارَ بعد هبوبه
اذا انطفأَ المصباحَ واندلقَ الزَّيت ؟!
وأىُّ جحيمٍ بَعد أخشى لَهيبه
اذا احترقتْ نفسى كما احترق البيت ؟!

* * *

وناجيت حَظى ثم أغفلته وقد
تذبذبَ ، حتىّ جاءنى فتأبيت !

عرفت زمانى بالغَ اللـؤم خائناً
وما (الحظُّ) الاَّ ابنٌ له يومَ ناجيت !
لئنْ نِلت منـه بعضَ برٍّ محققٍ
فمن قاس ماأعطى بما انا أعطيت ؟
إذا هـو حيانى ففى غـده أرَى
نقيضَ الذى آنست منه ولاَقيت
فأصبحت لاأبـكى ضياعَ مروءتى
اذا الخـلُّ عادانى عقوقاً وصاَفيت
ترَقبت عمرى أن أُسـاَءَ معـانَداً
دواماً ، فأسقانى (الشقاء) وأسقيت
شَربنا (١) على نخب الولاءَ كأننا
صـديقان مذْ كنا قـدام ووفيت !
فانْ عضنى غَـدْراً وصحت معانياً
ونحت تَعلتْ حـكمتى فتباكيت !
على أىّ شىءٍ فى الحيـاةِ مَدامعى
وما وسـعتْ بعضَ الذى قد تمنيت ؟!
وأىُّ جمـالٍ غـير ماقد لمحته
بنفسى ، فانْ تشكرْ فما أنا حاَبيت !
رأيت بها (الدّنيا) جمـالاً ، ومهجتى
تقاسِى ، وكم أُخفيت ما كنت قاسيت

(١) اى الشاعر والشقاء .

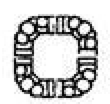
الى أنْ أَتَتنى فِتنتى صحبةَ الهـوَى
بوعـدٍ بَرَى نفسى لأنىَ بأَليته
فخالتْ ظَلاَماً بعـد نورٍ لناظرى
وأنهيت أحلاماً بهنَّ تناهَيت !

*

* *

أَمَا وفؤادى كاد يَقتله (الهـوى)
ويا طالما فى الشعر بالحبِّ داويت
وقد بات مثلى يجهل (الحسن) حقّـه
فأمسى بعيـداً عن ندائى وأمسيت
وما زلت أجنى غـيرَ ماقد بذرْته
ويتبعنى العـذّال واللـوُّ والليت
فباللهِ رفقـاً واتركينى لحسرتى
هنيئاً ، بلا وعـدٍ بما فوْقه الموت !

أبو شادى



كيف كنت سخيفا

للاستاذ الكبير حسين محمود

اردت ان أحبر مقالة للعصور فتزودت من المراجع حاجتى . كتاب لهيجو فى جيب البنطلون الخلفى . وكتاب لشيلر فى جيب (جاكتتى) اليمين وكتاب لود سورث فى جيبها الشمالى . مؤلفات دانتى فى جيب ردائى الايمن ومؤلفات سبنسر فى جيبه الايسر . تأبطت دائرة المعارف البريطانية بيمينى ودائرة معارف المانية بيسارى، ثم قبضت بكلتا يدى على كتاب الابطال لبلوطرخ وألصقت انفى به بعد ان أثبت عوينتى فوق ارنبته . واما الاقلام والاوراق فقد حشوت بها جيبي سروالى اليمين واليسار مع جيوب صدريتى

ولا اكتمك قارئى باننى مغرم صب . اجل . فقد برانى الحب رغم انى دولاب كتب علمية متنقل . قلت فى نفسى لأملأن فراغ جمجمتى بشىء وانا قاصد مكان اللقاء ، لقاء الحبيبة التى تيمتنى بحبها . وكم انتظرها عادة حتى يبدو لمزاجها ان تحن وتظهر فللسحالى — اجل قارئى العزيز فمحبوبتى سحلية ممشقة القامة، مكتحلة العينين ، حمراء الخد — لذلك اتخذت اهبتى لاكتب مقالى بدلا من انتظارها على احر من الجمر

سرت وانا اقرأ ، وقرأت وانا اسير، الى ان ارتطمت بشىء صلب فتبينته واذا به ابو الهول. فالقيت بنفسى ارضا واخرجت ادوات الكتابة، ولما حاولت ان املأ الورق بما خزنته جمجمتى لم اجد فيها شيئاً اصلا . وبالبحث اتضح انى كنت اقرأ دون ان اسد ثقبا فى اسفل الجمجمة ، كنت احرص جهدي على عدم تركه مفتوحا كي لا يتسرب ما اقرأه منه الى الخارج. وعبثا بحثت عن شىء لاسد به الثقب فلم اجد فاسلمت امرى للمقادير

سمعت شخصاً يقترب فتطلعت الى اعلا . يالله ما أجملها، فتاة غضة الاهاب اقتربت منى، تعلو شفتيها ابتسامة لطيفة ولم تلبث حتى ابتدرتنى قائلة:

— انت مجنون ؟ لم لا تجلس على المقعد بدلا من افتراش الارض مثل السوقه ؟

— مقعد ؟ . . . (سألتها وانا اكتم ابتسامة وامنع نفسي من وصفها بالجنون حنانا مني) وهل اوجدوا مقاعدا حديثة قرب ابى الهول

— ابو الهول ؟ ما بالك يارجل اين انت من ابى الهول؟

— (ضحكت سرا على بساطتها المتناهية وتأكدت من أنها آتية ، ولا شك ، قريبا ، من بلد ناء . ثم خطرت ببالى فكره . قلت لنفسي الا يجوز ان تكون هذه الفتاة حبيبتى السحلية جاءت متنكره ؟ فسألتها)

— أأنت حضرة السحلية ؟

— قطع الله لسانك ايها الافعي

— حقا انت هى السحلية ؟

— اذا لم تحتفظ بادبك سأشكوك للبوليس . فتفتق عقلى عن حيلة لطيفة فخصصت لها طاقة من « الهشيم » تدمتها لباقة ، كما افعل عادة مع غزالتى السحلية . فرفضتها بغضب . فقالت

— عرفت الآن انك لست السحلية فلو كنت إياها لتقبلت عربون المحبة كما تتقبلينه عادة

وكانها ارادت ان تنكص على عقبها غير انها لم تفعل و بالعكس سألتنى

— من اي بلد أنت ؟

— من صميم القاهرة

— القاهرة ! أأنت صادق وهل هذه سحنة القاهرة؟

— نعم . . . بالطبع . . . اسألى الانس والجان عن ادبى يخبرونك عنى .

— انت اذن (ادباتى) ؟

— لغة من اديب . . . . اجل . . . اديب : مؤدب ، ادباتى

— ما اسمك ؟

— عبدك الخاضع حسين محمود

ولكن هناك رجل واحد فقط مشهور بمناجاته للسحالى ، فهل انت هو ذلك الرجل ؟

- ارجو ان لا تغمطيهن حقهن من الرقة والجمال ، فهناك كثير من المعجبين بدلال السحالى ورقتهن

— وهل تنتظر سحلاتك هنا ؟

— واين اذن انتظرها سوى على هذه الرمال السندسية الشعرية ؟

— ولكنك مضطجع ياسيد على الاسفلت وليس على الرمل

— وهل بحيط بابى الهول أسفلت ؟

— لست عند أبى الهول ولكنك عند تمثال نهضة مصر

رفعت بصري مرة ثانية وحقيقة لاحظت ان بقرب ابى الهول شيء آخر يشبه امرأة فسألتها

— هل مصر الحديثة ترفع ابى الهول ام ان ابا الهول يقوم من ذاته

— . . . . ؟ ! ؟ !

— وهل لاحظت ابا الهول — فى حديقة الحيوانات — يعتمد على مقدمتيه عند ما يحاول الوقوف او يعتمد على مؤخرتيه؟

وكأن شيئاً جديداً قد تجلى لها ، واشهد انى حضرت وقتئذ منظر ارشميوس وهو يصيح قائلا يوريكا . يوريكا عند ما اكتشف فكرته وهو في الحمام ، فصاحت بى منفعلة

— عرفتك الآن . عرفتك الآن . انت ابراهيم المازنى

— المازنى ! ياخبر اسود ! المازنى ! لا. لا. لا. ابدا

— انت هو المازنى . مازنى السحالى ، مازنى الهشيم ، انت هو فلا تنكر

— المازنى ! ! ابدا ، ابدا ، انا حسين محمود . يخلق من العقل اربعين سبحانه وتعالى

— ابدا . انت المازنى . وهل هناك من يفعل ما تفعله انت غير المازنى . قم ايها المجنون. قم

— سيدتى بالله كونى واثقة . . . تأكدى بالله ان ليس هناك وجه قياس بينى وبين المازنى . انا كبير ضخم الجسد واما هو فحقير لا يعتنى الناس به ولا يلتفت اليه احد ابدا . اما انا فشيك . . . شيك جدا

— انت تكذب يا مازنى السحالى يا . . .

— ولكن لست انا الـ . . .

— هيا اعترف بانك كاذب ، وانك المازنى

— ولكن اعترافى يكذبه الواقع . فالمازنى قزم وصغير بالنسبة الى انا الـ . . .

— يا للادعاء وهل بلغت بك الصفاقة لدرجة تحاول معها احتكار السخف لنفسك

— انا . . . انا سخيف ؟ انا عبقرى انا خفيف الدم ... انا

ولم اشعر سيدى القاريء الا وكف قد التطم بوجهي ، ولما ادرت رأسى شاهدت رجل البوليس يقول

— اغرب من هنا ايها السكير والا قدتك للقسم

— انا سكير .... انا (فانهال على ضربا وركلا وهو يقول)

— امشى ايها ...... يا ...... والا ....

فاسامت ساقى للريح ولم انس قبل ان ابعد ان اودع الآنسة قائلا « الى اللقاء هنا غدا »

وجاء الغد وكرت الايام والاسابيع والاشهر والسنين ولم اجد من نفسى شجاعة كافية لملاقاة الحبيبة الجديدة الفاتنة . . .

الست سخيفا يا عباد الله ؟ — حسين محمود



معنى التطور

طالما تساءل الناس عن السبب في كسوطبقة شعرية لأجسادنا، أو فى سواد بشرة الزنجى وصفرة بشرة الصينى الخ ما هنالك، مما يجذب الانظار لتنوعه والجواب على هذه الأسئلة وغيرها ينحصر دائما فى أن الطبيعة، بكل محتوياتها، قد ارتقت خلال عشرات الملايين من السنين الى أن وصلت الى ما هى عليه الآن . وكان التغير دائماً جزئياً . ولكنه كان أيضاً متتابعاً، وبواسطته تشكلت الصور المتباينة للاشياء . هذا ما يسمونه « التطور » . فالجسم الانسانى قد تطور عن خلية واحده ، والدولة عن القبيلة ، وهكذا . فأخذ كل تطور أدواراً عدة حدثت فيها زيادات كما حدثت فيها نقائص

ومن الغريب أن أجدادنا لم يلتفتوا الى هذه الظاهرة التى كانت بارزة حولهم في كل زمان ومكان . فاللغات ما هي إلا عبارة عن مزيج من اللهجات المختلفة التى تعرضت للتغيير والتبديل . كذلك من السهل على الباحث الوقوف على تطور آلات القتال مثلا . ويظهر أن الذي حدا بالسلف الى عدم معرفة هذه الحقيقة ضعف قوة الملاحظة فيهم ، إذ كيف لم يلاحظ ولا واحد منهم أن كل الزهور قابلة للنمو، وان نمو البعض يختلف عن نمو البعض الآخر وفى هذا كل المعنى المقصود من لفظة « تنوع »

فلنفترض الآن أن كل الموجودات نشأت عن أصل واحد منذ بضع ملايين من الاعوام ، فتفرع كل فرع الى شعب عديدة يختلف كل منها عن الآخرين ولو اختلافا بسيطاً . فتتابع التشعب الملازم للاختلاف لا بد وأن يؤثر فى الشعاب المتباعدة التى تنتج بعد أحقاب عديدة ويزداد مع تشعبها الخلاف والتنوع

ويجب أن لا نغفل بأن آثار الاقدمين تحوى طفرات فكرية غير قائمة على بحث ، فمنها يفهم الجيل الحاضر أنه قد مرت بأفكار الاول تصورات عرضية

عن إمكان رجوع الانواع الى أصل واحد، وهذا موجود فى كتب قدماء اليونان الذين تصوروا نمو كل ماكان موجوداً فى عصرهم كما قال لوكراتيوس. وقال القديس أوغسطين إن كل الحيوانات والنباتات قد نشأت عن بذرة أخذت فى النمو منذ فجر التاريخ. وأبدي راهب اسمه جيوردانو برونو في العصور الوسطي فكرة قد تصلح لكى تكون أساساً لنظرية التطور لو لم يقضى عليه العسف بفظاعة وقسوة أذاتهم بالهرطقة.

كادت أوروبا تسلم فى الوقت الحاضر بأن كل الموجودات من القمر الى السلطة، الى الاقحوان، الى القط الى الرجل لم تخلق بالصورة التى هى عليها الآن، بالرغم عن ادعاء الكتب المقدسة عكس ذلك، وهكذا أخذ العلم يربح الموقعة ساخراً بالخرافات المتوارثة

وكل الفضل في تبيين حقيقة التطور للصخور، فبين طبقاتها قد وجدنا هياكل الحيوانات والنباتات المعاصرة لبعضها البعض. وهى تختلف عن أمثالها فى الطبقات السابقة واللاحقة. قد ثبت لنا ومن الصخور اندثار أنواع وظهور أخري

وبالقياس على التطور المادى أمكننا الاستنتاج بتطور نظمنا الدينية الى الاحسن. وكذلك الحال في نظمنا الاجتماعية، وتسبب عن هذا تقدم يذكر لثقافتنا. وحتى نظرية التطور نفسها قد تطورت، وليس معنى هذا انه قد ثبت فساد الفكرة في جوهرها بل قد أصبحت نظرياتها أقرب الي الصحة من ذي قبل. فقد قال دارون ان الاحياء تنشأ أكثر مما تحتاج اليه الطبيعة، وقد نتج عن هذا ما يسمي « تنازع البقاء لبقاء الاصلح » فالقوي هو الذى يتنعم بالحياة فى حين ان الضعيف يفنى. ومقصود دارون ينحصر فى التنبيه الي أن الطبيعة « تنتخب » القوى دون الضعيف. هذه هي نظرية « الانتخاب الطبيعى » أو « الطبعى حتي لا يغضب الاستاذ وحيد الايوبى » فلو أردنا تطبيق هذه النظرية على العقبان مثلا، نقول أن نجاح العقاب فى مكافحة الحياة يتوقف على متانة جناحيه وقوة نظره. فكلما فقس البيض عن عقبان

مميزين بهاتين الخصلتين يورثونها لاعقابهم فتصبح خاصيات لسلالاتهم فيتمكنون هم دون غيرهم من رؤية أكبر عدد من الفرائس ، وينجون دون غيرهم بانفسهم من الهلاك أيضاً . وقد ظهرت أخيراً نظريتان إلي جانب هذه النظرية . وها أنا أبسط للقارىء النظريات الثلاث للمقارنة بينها :—

(داروِن) ينتج التقدم عن الانتخاب الطبيعي فيبقي الاصلح ويفنى الاقل صلاحية ، ومعنى هذا أن الطبيعة تمحى أثر العاجز . فالقوة والحواس والاسلحة الخ . أخذت تتحسن ببطء إلي أن وصلت الى ما هى عليه الآن

(ويزمان) تأثير الطبيعة أمر ثانوي ، فان التقدم يتم فى الخلية الواحدة ويتتابع ببطىء فى السلالات المتتابعة حتى يصبح من مميزاتها

(هندل) تزداد بعض الشذوذ فى السلالات وتزول من البعض الآخر فاتسع بمرور الزمن شقة الخلاف ويحدث التنوع . وهذه النظرية تسمى (قانون الوراثة)

وانك اذا راقبت صغار الحيوانات تجدها دائماً تتسابق الى الطعام فيبذل كل منها جهده للاستئثار به . وكذلك يتزاحم العمال على العمل لأجل كسب العيش ، وفى كلا الحالتين يظل العاجز عن النضال دون طعام فيهلك وبالقياس الى ما سبق . قيل أن العالم يتكون من الفي مليون نجم على الاقل وكل نجم منها مماثل لشمسنا . وكما أن لشمسنا سيارات تدور حولها لايبعد أن يكون لكل شمس (نجم) أخرى سيارات أيضاً . فالعالم المترامى الاطراف يحوي عوالم محدودة تشبه عالمنا المحدود ، يزيد عددها عن مئات أو آلاف من ملايين الملايين ، كلها تسبح فى أميال لا يحدها الحصر من الفضاء . وتتفاوت درجة حرارة كل نجم منها من ٣٠٠٠ / الى ٣٠٠٠٠ درجة بمقياس سنتجراد (وهذا بالتخمين) فالقليلة الحرارة تظهر حمراء ، وأما الكثيرة الحرارة فتتراءى لنا بيضاء سماوية (تميل الى الزرقة) ويقدرون محيط شمسنا (وهي إحدى هذه الانجم) بـ ٨٦٠٫٠٠٠ ميلا بالاقل . وأما حرارتها الظاهرة فتبلغ ٧٫٠٠٠ درجة . وأما باطنها فحرارته تبلغ ١٫٠٠٠٫٠٠٠ درجة . ولكنهم يقدرون محيط

كوكبة قنطوروس ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل . ويلاحظ أن نور شمسنا أصغر (أى بين بين) . وتختلف أعمارهذه النجوم عن بعضها اختلافا بيناً،وشمسنا ليست الاإحدى النجوم المتوسطةالعمر. كذلك يقال إننا نرى أضواء نجوم حين أنها قد انطفأت منذ امد بعيد جداً ، ولـكن ضوءها مازال يجوب أديم الفضاء ولما يصل الينا.

انك لو تركت الغبار يلج غرفتك، لرأيت أرضها مكسوة بطبقة منه. والسبب ينحصر فى أن الارض« تجذب » دقائق الغبار اليها . فلنفرض الآن أن هذا الغبار منتشر في ملايين من أميال الفضاء ، وتحوى كل ذرة منه على معادن وغازات ، فاجتهد الآن تصور ما ينتظر أن يحدث

فاذا فرض امكان تصور الذرات بكثافة واحدة ، والتأثير الخارجى على كل منها مساوي للتأثير الحادث على الباقين تظل هائمة في الفضاء على ماهى عليه إلى الأبد . ولكن من الاستحالة بمكان أن تتوحد الـكثافة . ففى الذرات ما هو أكثف من غيره . ولذلك ينجذب القليل الكثافة الى ما فيه كثافة أكثر ويحدث عن هذه العملية حركة دورية

يشاهد البعض منا ما نسميه النجوم الهاوية، وهذه ليست سوى معادن حامية تنتقل فى فضاء اللانهاية . فاذا ما دخل أحدها في الفضاء المحيط بالارض (أى فى منطقة جاذبيتها) ترى ساقطة ، وذلك لأن الارض أكثر كثافة من تلك الكتلة الحامية . فهذه الـكتلة واحدة من وحدات لا تعد تسبح فى العالم المتسع . وانضمام ذرات معا فى ملايين من الاعوام يخلق كرة مرنة هنا ، ويخلق أخري هناك . وثالثة ورابعة كلها بعيدة عن بعضها البعض . وبما أن كل كرة فيها مواد أقل تقلدا من غيرها ، فبالطبع يطفو ماخف ويرسب ما ثقل منها . ولتعرض السطح للهواء يأخذ فى البرودة فتتكون منه قشرة فى حين أن الغازات تحيط هذه القشرة . هذا هو تعليل تكوين النجوم التى تظل دائرة حول نفسها ، وهى تعمل على جذب كل ما دخل في منطقتها من النجوم الصغري.

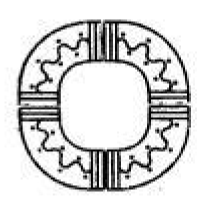
وأما الأجسام المنيرة قبل تجمعها فتكون على شكل ضبابة يسمونها السلام (Nebuae)

وكثيراً ما يرى الفلكيون أضواء تنطفي بغتة فيستنتجون توقف اشتعال الغازات المحيطة بالنجم ، الامر الذي يجعله بمرور الزمن يصبح قابلا لظهور الحياة فيه

أما الذرات المبعثرة في الفضاء فيسمونها الأثير . ويقول العلماء إنها تخترق كل الاجسام التي تصبح جبالها كقطعة الاسفنج مهما صلبت . لأن الواحدة من الأثير تندفع بقوة تمكنها من اختراق الجسم التي يصطدم بها مهما كان كثيفاً . وكما أن الانجم تكون العالم ، والاثير يكون النجوم . فان الأثير نفسه مكون من (الكترونات) ذرات كهربائية . وهذه الألكترونات صغيرة جداً لدرجة يقدرون معها . ان في الامكان غمس رأس دبوس بملايين الملايين منها وهي تختلف عن بعضها اختلافا لا يمكن للعقل تصوره

أما كيف تتكون هذه الألكترونات فسؤال لا يمكن الاجابة عنه بعد . ويجب أن يعلم القارىء أن « النظرية الأثيرية » هذه لم يحققها العلم ، فهي تخمينات لا أكثر . هذا هو ملخص فكرة نشوء الارض عن ماك كيب

أبو العينين



نضال الفلسفة والدين فى اغريقيا القديمه

مثل الحياة كمثل السوق يقصده البعض لتبادل السلع ، بينا يهم البعض الآخر بما فيه من وسائل اللهو. ولكن هناك من يقصده للملاحظه والدرس . هؤلاء هم الفلاسفة الذين يقارنون ويستنتجون فى حين يجرى غيرهم وراء الفخر والثروة ، بينا يسعى الآخرون لسد حاجاتهم الدنيويه

هناك فرق بين الفيلسوف والعالم ، فالاول يبحث عن كل شيء جليا كان او خفيا، في حين ان الآخر يطبق النظريات على الاختبار

كان الاغريق قبل قيام الفلاسفة بينهم يروون ظمأهم بما يتناقلونه من الاساطير عن كيفية نشوء العالم، وكانوا يأنسون (من انس) آلهتهم ويمثلونهم في قوات طبيعية أو أجسام

لعب الشعراء دورا عظيما في تكوين ونشر الاديان اليونانية، الامر الذى لم يحدث له مثيل فى تاريخ أى امة اخرى . فان لبس الشعراء للمسوح ظاهرة غير مألوفة الا بين قدماء الاغريق . وكان السبب فى ذلك انعدام طبقة الكهنة فى اغريقيا القديمة . وليس معنى هذا انه لم يكن هناك رجال متدينين ، بل هؤلاء قد تواجدوا ، وانما لم تكن تجمعهم جامعة ولم تكن لهم قوة نفوذ

وكل الجماعات الدينية كانت مكونة من عدة رجال يسلمون برأى الهى مخصوص، ويحتفظون بتقاليد معينة،ويتداولون تاريخ جماعتهم المملوء بقصص المعجزات والمدهشات

وبدلا من القسوس كان ينضم هؤلاء الناس الى وحدات الجيش مثلهم فى ذلك مثل الشعراء ومثل السحرة، وكل هؤلاء كانوا يكونون مجلس الحرب الاستشاري لقائد التجريده . وكانت آراءهم تبسط كما لو كانت مستقاة من الآلهة. ولذلك كانوا مسيطرين تمام السيطرة على القادة والجنود، ونالوا من وراء ذلك غنى وافرا لايقل عن نصيب رجال الدين القدماء من البابليين والمصريين، او من رجال الكنيسة الكاثوليكية في عصر أوروبا المظلم

فمن حسن حظ العقلي اليوناني ان قامت تقاليده على الاساطير وهي اقل تغلغلا فى النفس من التقاليد الدينية التى اعتنقها الشرق ، خصوصا وان دعاة هذه الاساطير كانوا متعددي الغايات والوسائل ، وكلها متضاربة مع بعضها فكان من السهل التسليم بجواز ترك فكرة لاعتناق اخرى

وللشعراء الاسطوريين بوجه عام مدرستان قديمتان في اليونان ، يمثل احداها هومر ، حين يمثل الاخرى هيزيود ، وكان الاول من الظانين بتجسد الآلهة فى صور بشرية ، بخلاف الآخر الذى كان يظنهم ممثلين للقوات الطبيعية فكان زمن جامع الضباب يرمز الى السماء العليا ، وكانت اثينا تحمل له درعه واما الابن ابولو فكان ممثل الشمس المضيئة ، هذه هى الآلهة العليا المهمة

وعند ماسادت الاساطير المتضاربة المتناقضة جو اليونان الفكرى قامت قائمة المفكرين من نوع آخر (هؤلاء هم « الحكماء Sages) ولو ان هؤلاء امعنوا اولا فى التخبط البعيد عن العلم الا انهم اخذوا ينظمون اراءهم على مر الزمن ، وتركوا لهم آثارا باقية الى اليوم . مثل « كن متوسطا » « اعرف نفسك » الخ

ونتج عن تفكير هؤلاء الحكماء تنظيم القوانين الادبية الزاجرة وتأسيس العلم الايجابي الامور التى نتج بعضها عن اديان الشرق دون ان تتماشى مع الزمن ، ولم ينتشر بعضها بالمرة بين امم كانت تعمل بايمان لايسهل التحول عنه ، ويمكن ان نقول بعد ذلك ان آلهة الاغريق القدماء كانت متنوعة يجمعها فرعان ، آلهة سماوية وآلهة ارضية (سفلى) وأشهر الآلهة الاولى من سبق ذكرهم ، وهم زمسن وابولو واثينا . وكانوا يمثلون السماء الساطعة المتسلطنة فيها الشمس ، بينما كانت الآلهة السفلي المهمة بليتو اله القبر المتسبب فى انبات الزرع وانباع الماء ، وديمتر « امناء الارض » مع ابنتها برسيفونى ، واخيرا ديونيسس رب الجداول واله الخمر ، وكان آلهة السماء متبوعة بالطبقات العالية من الامة . اما الطبقة العاملة الوضيعة فكانت تتبع الآلهة السفلى لانها التى تعطيهم المحاصيل والخيرات التى يتقوتون بها . وهؤلاء الاخيرين هم الذين

اغرقوا فى الأساطير اى اغراق فكانوا يعتقدون ان ديمتر « امهم الارض » كانت تنوح كل عام على ابنتها برسيفونى « الربيع المكلل جبينه بالزهور » التى اختطفها الى الموت لتشاطره ادارة مملكته السفلى. كذلك كانوا يعتقدون أن ديونيسس كان يقطع اربا تحت معصرة الخمر فى كل سنة. ولم تكن الزهور النضرة والاوراق الخضراء الا رمز القيامة برسيفونى السنوية - ابان فصل الربيع - وهو وقت نشور الارواح المقبوضة

ويجب ان لا نتغاضى عن تأثير الحالة الاقتصادية فى الوجهة الاخلاقية لطبقات اى امة، فالطبقات الدنيا أكثر اهتماما بالاخلاق عن الطبقات الراقية لان الفقير يبذل جهده دائما للدفاع عن كيانه ضد هجوم الصفات الملازمة للغنى كالترف المحتاج للانفاق على سعة وهو مالا يقدر عليه الفقير

لذلك نجد هزيود - شاعر الرعاع - اكثر تمسكا بالفضيلة من هومر - شاعر المحاربين من الاشراف - فانك لا تعثر على فكرة عقاب الآخرة فى الالياذة، بينا تجده متجليا فى الاوديسى

وحتى هذا المجال الاخلاقى قد اقتحمه حكماء اليونان الاقدمين خصوصا فى العهد الفيثاجورى فكانوا من دعاة الفضيلة

وفى عهد السفسطائيين من الحكماء اخذ نظام التعليم يدخل مرحلة جديدة لان أولئك النفر من الحكماء اتخذوا على عاتقهم الانتقال من مكان لآخر لالقاء المحاضرات على الشعب . وبالطبع كانت محاضراتهم تتمشى على اسس الاساطير الشعرية ، التى وان تهذبت لمزج بعض الحكماء السابقين للفلسفة بالشعر ، فانها كانت وسيلة العلم الوحيدة قبل ان قام السفسطائيون بعملهم الشبه علمى المؤسس على المنطق

نتج مما سبق ان تمكنت الفلسفة من طرد الدين فى اليونان القديمة

تحسين النسل

EUGENICS

ملخصة بتصرف عن ليونارد دارون

تمهيد : اهتم المزارعون ولا يزالون فى كل زمان ومكان يهتمون كل الاهتمام فى انتخاب الاصلح من أنواع المواشى لعلمهم ان ذلك يعود عليهم بجم الفوائد . حتى العرب كانوا يحفظون سلسلة نسب لجيادهم الاصائل ، ويمنعونها من التلاقح مع الانواع الرديئة من الخيل ، وقد تسلسلت أنواع الكلاب مما يسمونها « الكلاب الذئبية » المتوحشة ، فكان يستكين بعضها فى حين يرجع البعض الآخر الى الاحراش ثانية . وكان الانسان يعدم ما تغلبت الوحشية على طباعه من الكلاب ، ويبقى ماخلاها لديه . وكلما كان الكلب مسالما ومطيعا ومحبا لصاحبه كلما حرص عليه الناس . هكذا أوجد الانسان الكلب المخلص الذى نأتمنه فى العهد الحاضر . وبالطبع كانت عملية الانتخاب هذه تتم بلا قصد فى بادىء الامر . وكانت أسرع الكلاب عدوا تخصص للصيد ، وكلما تفوق أحدهم عن غيره تهافت الناس على اقتنائه والاكثار من نسله ، وبالطبع للتكوين دخل عظيم في المساعدة على سرعة العدو فنتج عن هذا الانتخاب نشوء « الكلب السلوقى » أما « الكلب الصينى » فقد نشأ كنتيجة لاهتمام بعض الناس بأصغر الكلاب حجما وأجملهم منظرا و « كلب الحراسة » نشأ كنتيجة لتشجيع صنف له مميزات مخصوصة . وما يقال عن الكلب يقال عن الماشية ، فالتى كانت مكتنزة اللحم مدرة لكمية أكبر من غيرها هى التى احتفظ بها ، وأما التوالد فى الخراف فكان يتم على أساس اللحم ونوع الصوف .. وبين الدجاج على اكتناز اللحم أيضا وكبر مع كثرة البيض

كل ماسبق من القول يعده المزارع من البديهيات لانه يقوم بهـذا العمل بطريقة آلية ولايرى فيه أمراً غريباً . ولكنك اذا ناقشته في وجوب تحسين نسل الانسان دهش ، وكثيرا ما يجيب على ملاحظتك بقوله « ولكن نحن بنو آدم وهؤلاء ليسوا اكثر من حيوانات » فسوء الفهم ناتج والحالة هذه من فكرة خاطئة توارثها الناس خلفا عن سلف، يجب محاولة اثبات خطئها قبل الدخول في الموضوع

الانسان : اننا لو رجعنا الى الماضي عند مقارنتنا للحيوانات الدنيا يتجلى لنا وجوب رجوعهاالى أصل واحد من ملاحظة عظم المشابهة المشتركة بين الانواع و بعضها . وان من السهل اقناع أى شخص بصحة هذا الاستنتاج ، ولكن يواجه الباحث صعوبة اذا حاول أن يثبت على نفس الاساس اننا نحن البشر ابناء عمومة اخوانا الحيوانات . ويمكن الوقوف على هذه الحقيقة من قراءة كتاب الطبيعة العظيم المسطر على طبقات الصخور . فكلما بحثنا في المستويات الارضية الا كثر عمقا نجد أثراً للحيوانات الدنيا التي تبدأ تمتزج آثارها بحيوانات أرقى من سابقتها ، كلما نقبنا في مستويات أقل عمقا . ومما سبق نستدل بان الحيوانات الراقية وجدت بازمان طويلة بعد الحيوانات الدنيا لان آثارها لم توجد الا في الطبقات المستجدة ، كذلك لوحظ من تلك الآثار ان بقايا الحيوانات المتشابهة تتواجد متقاربة من بعضها ، وكلما ازدادت ابتعادا عن بعضها ازداد تباينها بالاستتباع . واذا فحصنا جسم الجنين نجده يحوى أعضاء مشابهة لتلك التى لانجدها الا في الحيوانات المائية . كذلك الاعضاء الاثرية التى تحتويها أجسامنا تدل على نوع المعيشة التى كان فيها أجدادنا الاول كالاظافر مثلا ، فاننا لانستفيد منها في الوقت الحاضر ولكنها كانت ضرورية لاسلافنا . فالقول بان الانسان تسلسل من مخلوق قريب الشبه بالقردة يجب أن يجتذب انتباهنا كأمر مهم جدير بالدرس . ومن سوء الحظ ان تخبطات الاقدمين قد أصبحت بمرور الزمن اعتقادات دينية نجبر على التسليم بصحتها بالرغم عن انها تخالف الواقع .

وكيف لاتكون فكرة النشوء صحيحة وكلنا يعلم تمام العلم أنه نشأ من نطفة لزجة مشابهة للسمك اللدن التكوين، الأمر الذى نجد له شبيهاً بين أحقر انواع الحيوانات وعند ما تنمو قليلا يتعذر على المشاهد معرفة ما اذا كان الجنين لكلب أو لخنزير أو لانسان لان كل الاجنة فى دور تكوينها الاول تكون متشابهة تماماً. وعند مانولد نكون فى حاجة اكثر الى الحماية كنتيجة لضعفنا الجسدى من جهة، ولقلة ذكائنا من جهة أخرى. فكثير من الحيوانات ان لم أقل كلهم يولدون قادرين على الحركة فيبحثون على طعامهم مباشرة وإما يحتاجون لفترة قصيرة جدا ليتمكنوا من الاهتمام بعدها بأنفسهم. وأما نحن فمدة حضانتنا اطول وحاجتنا إلى العناية أكثر. وفى مدة حياتنا نقوم بادوار قام بها اسلافنا فى عهود التاريخ البشرى المنقرضة. ففى الطفولة نعجز عن كبح أنفسنا ونميل إلى الاستحواز على كل مانجده غير مهتمين بحقوق الغير. فما دمنا نمر على هذه الاطوار ولا نستحى من الاعتراف باننا نمر عليها، فلماذا نستحى من الاعتراف بان الانسانية قد مرت على هذه الاطوار؟ ليس فى هذا التسليم اى اهانة لنا بل بالعكس اننا نشعر بارتياح عند مقارنة ما نحن فيه، وما كان عليه آباءنا من تأخر.

فليس هناك اعتراض على القول بأننا أعلى فرع من شجرة الحياة التى قامت على جذع واحد. ولكن قد يسأل شخص « كيف حدث هذا الاختلاف العظيم ؟» اذا قل الطعام ينقص عدد الناس كنتيجة للمجاعات، وكلما كثر الطعام اخذ عدد الناس فى الازدياد. ومعنى هذا ان العدد يرجع إلى ما كان عليه فى اليسر الذى يلى المجاعة. فاذا ازداد الطلب عن المعروض، وجب أن يموت البعض ليكفى المعروض الطالبين. فلو أنتج كل زوج من الناس زوجا وتابع نسلهم طريقة التناسل هذه لايتعرض العدد للزيادة. ولكن الواقع ان متوسط الانتاج يزيد عن زوج، فالعدد اذن يأخذ على مرور الزمن فى الازدياد المتتابع الى أن

يجد أن موارد غذائه ليست كافية ، وعندئذ يتنازع الأفراد مع بعضهم على الغذاء من أجل البقاء و ينتصر الاقوى بالطبع. وليس معنى هذا أن التنازع يتم دائماً بين الأفراد بل ينتج ايضاً في بعض الأحوال من جدب يصيب الأرض التي يسكنونها اذ ان بعضهم لايجد له خدناً من الجنس الآخر او أن تجتاح البعض أمراض وافدة . فالاصلح من غيره هو الذى ينتصر فى المخاصمات أو الذى يسرع إلى أرض وافرة الخيرات أو يقاوم الأمراض او هو المقبول من أفراد الجنس الآخر للمساعدة على عملية اللقاح . فالعامل على بقاء الذى يبقى هو « الانتخاب الطبيعى »

يقدرون أن الحياة وجدت على ظهر البسيطة قبل الف مليون سنة. وكانت مرسحاً للتنازع والانتخاب. فالطبيعة هى الموجدة للانتخاب بيننا كما هو الحال بين الكلاب التى تنوعت بعد آلاف من السنين عن الاصل الذى نشأت عنه . وكذلك نقول ان الانتخاب الطبيعى كان العنصر الفعال فى تطور الانسان من درجة أدنى

البيئة : وجدنا فيما سبق أن المسبب فى بقاء ما على حيوان دون الآخر هو امتيازه عن ذلك الآخر باحدى الخلال . مثلا حسن منظره أو قابليته لادرار كمية اكثر من اللبن . نسلم كلنا أن الانسان وجد من نطفة ليس من المتيسر التفريق بينها و بين أى نطفة أخرى لان للكل مظهر متشابه . ولكن فى الحقيقة ليس هناك تطابق بين أى نطفتين . واختلاف نطفتين عن بعضها هو الاصل في اختلاف الفردين اللذين ينشآن منهما. وهذا مايسمونه الاختلاف الوراثى. فاذا شاهدت رجلا له عينان سوداوان وآخر عيناه خضراوان فقد عثرت على مثل من الاختلاف الوراثى. ولكن ليس هذا هو الخلاف الوحيد الذى نعثر عليه ، فان كل فرد ينشأ و ينمو فى بيئة مخالفة للوسط الذى ينشأ و ينمو فيه الآخر . فواحد يولد فى المنطقة الحارة المعرضة لحرارة الشمس ، بينما يولد الآخر بالقرب من القطب الشمالى. فهذا الاختلاف مكتسب، وهو شيء آخر غير الاختلاف الناتج من اختلاف

النطف. لنبدأ الآن ببحث الاختلاف المكتسب. فهل للاعتناء بالتربية أثر على الانسان ؟ من المسلم به ان المكتسب لايورث . فالرجل الذى قطعت يده لايلد طفلا بيد واحدة . فهل اذا انتمى الى مهنة الحدادة بينما استخدم اخوه كاتباً في احدى المحال التجارية، هل يكون ابناء الحداد أقوى عضلا من ابناء الكاتب ؟ او اذا قادت ظروف احد الأخوين إلى الاجرام فى حين كانت ظروف الآخر مبعدة له عنه، هل يكون ابن المجرم، حتى فى حالة انتشاله من الوسط الاجرامى، ميالا للاجرام، أم يكون مثل ابن عمه ؟ من رأى بعض العلماء ان ابن المجرم يحوى أثراً من الاستعداد للاجرام. ولكن الرأى السائد يقول إن صناعة الحدادة أو سرقة الأب لاتؤثران على الولد

هنا يجب أن نتساءل اذن لماذا يتوارث الناس الميل إلى السكر عن والديهم؟ هناك سببان لتلك القدوة السيئة، اذ يقلد الولد أباه و يرث عنه الاستعداد، وهو ضعف يحرض صاحبه على تناول المسكرات . وهناك عائلات تفشى فيها داء السكر .

سبق لنا القول ما قد يفهم منه ان البيئة لاتؤثر فى اصلاح النسل ، وليس معنى هذا ان لا اهمية مطلقاً لهذه البيئة، فالتربية والمسكن والصحة والرياضة كلها مهمة . فالتعليم يصبح على مر الزمان احد التقاليد العائلية يتبعه النسل . واكثر طريقة تعود بالفائدة على الناس هي إصلاح الوسط ، فيجب ان نضعه نصب أعيننا . ولا نريد أن نبحث تأثير الوسط هنا فهو خارج عن موضوع تحسين النسل، لانه من علم الاجتماع . الا أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن امتزاج جماعة راقية باخرى أقل رقيا ينتج اقتباس الثانية لبعض وجهات الارتقاء من الأولى، وهذا أمر يشعر به الناس، أما الذى لايشعرون به فهو انجذاب الجماعة الراقية إلى الجماعة الأخرى أيضاً . فالاتصال الاجتماعى لايقتصر تأثيره على جهة دون الأخرى، بل يعمل على محاولة ايجاد مساواة بين الطرفين . كذلك يجب التنبيه إلى أن هناك فرصة لصالح ابن الغنى من جهة التعليم. و بما ان عدد الصغار الذين ينشئون في الاوساط الفقيرة

يزيد كثيراً عن عدد صغار الاغنياء، فتأثر الوسط من الفقير يكون أكثر من تأثره من الغنى. فالامة التى تريد رفع مستواها ملزمة والحالة هذه للعمل على اقلال هذا التباين ليس بافقار الاغنياء بل بدفع الفقراء إلى طريق الغنى

الوراثة : قد يوجد من يدعى بان الاختلاف الحادث بين الناس ناتج عن البيئة، و بذلك ينفى فكرة اختلاف النطف المسببة لاختلاف الاشخاص. هل يمكننا أن نمنع شعر انسان من أن يكون أسوداً ؟أو أن تكون عيناه زرقاوان عند الولادة ؟ لاشك اننا نسلم بعد قراءة هذين السؤالين من ان الناس يختلفون عن بعضهم منذ الولادة بالأقل من الوجهة الجسمانية. كذلك الحال فى الاستعداد العقلى، فان كل منا يعرف انه درس مع أناس فاقوه في الحفظ كما فاقه غيرهم فى القوة الجسمانية. كذلك اذا تطلعنا إلى الخلف نتذكر سيئات اقترفها بعض التلامذة لم نكن نحن نجرأ على اقترافها، لافرق فى ذلك بين أبناء الفقراء أوالاغنياء او بين الطلبة اللذين اتوا من بلدان مختلفة، او تربوا تربية قاسية، أو نشؤوا فى وسط عطوف. و تختلف الاخوة في ذلك عن بعضهم مع انهم نشؤوا فى نفس البيئة. فهذا التنوع ناتج عن الوراثة. ولكن كيف يختلف أفراد العائلة الواحدة عن بعضهم بالوراثة ؟ يكتسب الطفل من والديه بعض الصفات، لكنه يورث لأحد أبنائه صفاتا من جده اكثر مما يورثه عن جدته، و يورث الثانى عن جدته اكثر مما يورثه عن جده. فهذا هو السبب في الاختلاف بين الاحفاد، هذا اذا كان الطفل يورث عن جديه الأولين فقط، ولكنه يرث الاجيال السابقة كلها. اذا اخترنا الفوالد من أطول رجال بلد لايتيسر لنا الحكم كيف يكون أولادهم. ولكن يصح لنا أن نقول أن منهم من سيكون طويلا. وأن متوسط طول كافة الاولاد يكون أقل من متوسط طول الأباء، وا كثر من متوسط طول كافة اهالى البلد. فناتج ما ننتخبه لاجل الاكثار، لايكون فى درجة ماسبق لنا انتخابه للاكثار منه، ولكن الناتج يكون أحسن من المتوسط الذى انتخبنا منه

وما دام انه قد ثبت لنا أن الصفات التى تتوارث غير مكتسبة ، في حين أننا نعرف ان بعض هـذه الصفات حسن والبعض سيء ،فيجب العمل على منع ايجاد اولاد معرضين لوراثة الصفات السيئة دون الحسنة . فهل يمكننا إحداث تغيير فى النطف ؟ كلا . اذن كيف يتيسر لنا فعل ذلك عن طريق الاختيار .

التحسين : يمكن لنا ملاحظة ان الفلاح الذى يعتنى بنظافة مواشيه ، وأمكنة اقامتهم، و بنوع علفهم ، أقرب للنجاح من الذى يهمل مواشيه . كذلك نجده لايقدم على شراء مواشي جديدة اذا امتلأت حظائره بالمواشى، بل بالعكس من ذلك، يستغنى عن بعض ما عنده . وانه دائماً يحتفظ على أحسن المواشى و يبيع أو يذبح الاقل درجة، وأنه انما يحتفظ بالاحسن لتولد له مواشي جيدة . ومعنى ماسبق هو أن الفلاح يهتم باصلاح البيئة والوراثة معا . ومن الغريب اننا لا نهتم باجراء هـذه العملية بين الناس وهم أحوج اليها من البهائم، وذلك لان شفقتنا العمياء هي التى تدفعنا لعدم الاهتمام بالمستقبل بصفة جدية . لذلك تهتم الحكومات بنشر التعليم، أى تهتم باصلاح البيئة فقط ، ولا تعير اهتماما بعملية الانتخاب متجاهلة ان البيئة معرضة للأنقلاب فى أى وقت، والافان هي مدينة روما ؟ ألم تكن مهد العلم والثقافة فى وقت من الاوقات ؟ أمانا [illegible] عداد المتوارث فيثبت امام العواصف مهما اشتدت و يزداد ثباته اذا تقوى . نتخاب

قد يسأل قارىء ما الذى تريدنا أن نفعله ؟ أتنتظر منا أن نذبح السيء كما يذبح المزارع ماشيته ؟ أم تريدنا أن نلقي بالطفل الغير صالح في صندوق القمامات كما نفعل بالهرة الصغيرة ؟ أم تريدنا أن نجبر الناس على التزاوج على النسق الذى يتبعه صاحب البهائم ؟ والسائل محق فى اسئلته هـذه لان القتل والوأد واستعباد الناس أمور قد ولى زمنها ونحن لانطلب ذلك

للبحث بقية

عمر عنابت

خطابة المستر بلدوين

فى حفلة الجلدهول السنوية — تلخيص

تحسين الاحوال فى أوروبا :

أشار المستر بلدوين الى أن السنين الاربع التى تقلد فيها منصب رئاسة الوزارة هي فترة توطيد وتجديد في أوروبا، مؤسسة «أولا» على دعائم سياسة لوكارنو التى وضعت حداً للروح الحربية السائدة بعد الحرب، ووساوس النزاع العالمي، وأدخلت ألمانيا في حظيرة عصبة الأمم

وثانياً : الحادث الجلل الآخر . وهو اتفاقية لندرة التى يرجع الفضل فيها الي سلفه — وهذه الاتفاقية وضعت مسألة التعويضات على أساس عملى اقتصادى أخرجتها به من ميدان الجدل والعداوة السياسية . ورغماً من أن مازالت هناك بقية باقية من المسائل الاقتصادية الخطيرة تنتظر الحل. إلا أنه متى آن الاوان لعركها والتغلب عليها فسيكون ذلك بروح يسودها حسن النية. وان أصبحت أمم أوروبا تقدر الحاجة المتزايدة الى التعاون والتضامن فيما بيننا .

فرنسا والمانيا:

هنا أشار المستر بلدوين الى أن التفاهم بين انجلترا وفرنسا لم يكن فى أى وقت أكثر وثوقا وتوطيداً منه الآن . وقد أعقب ذلك تغيراً يسترعى النظر فى شؤون ألمانيا الداخلية وعلاقاتها بفرنسا مما يؤيد النظرية أن التعاون الوثيق بين باريس ولوندرا لا يؤتى الا خير الثمار لألمانيا أو أية دولة عظمي. وان توسيع هذا التفاهم الوثيق حتى يشمل دول أوروبا — مما تجسم فى اتفاقية لوكارنو - هو حجر الزاوية في سياسة أوروبا . ثم أثنى المستر بلدوين على مجهود فرنسا في تعمير مقاطعاتها الخربة ونهوضها المدهش بعد كبوتها الاقتصادية وما يماثله من مجهود بلجيكا

نهوض المانيا :

ثم استعرض المستر بلدوين حالة ألمانيا فقارنها بما كانت عليه منذ أربع سنوات من هبوط اقتصادي سياسى مالى وقد نهضت فاستعاضت مركزها الصناعي الهائل . وقد سحبنا لجنة الاشراف من ألمانيا وعقدنا اتفاقات معها كما عقدت هى فيما بينها وبين فرنسا . وان المانيا لمدينة بذلك بعبقرية الدكتور شتريسمان الذى يود الجميع له الشفاء العاجل ، واستطرد الى ذكر أوروبا الوسطى وتشكوسلوفاكيا على الخاص وأشار الى احتفالها بمرور عشرة أعوام على استقلالها وإلى سياستها الخارجية الرشيدة وشؤونها الاقتصادية والمالية القوية التى يجدر الاقتداء بها . ثم أشار الى اليونان ومسائلها وتصفية نتائج الحرب المشؤوم على تركيا الذى نتج عنه سيل من المهاجرين من أسيا الصغرى فقد أقرضها مجلس العصبة مبلغاً لا يستهان به ، وساعدت لجنة المهاجرة بأوسع مافى استطاعتها على اسكانهم فى بيوت جديدة وهم يفكرون الآن فى تدبير قرض جديد يمكنها من توطيد دعائم نقدها وتعمير مقاطعاتها وقد ساعدت زيارة المستر فنزيلوس كثيراً على بلوغ هذه الغايات

اسبانيا وامريكا الجنوبية :

أشار المستر بلدوين الى اغتباطه بسحب اسبانيا الرغبة التى أبدتها كتابياً الى مجلس العصبة بالانسحاب منه واستطرد الى ذكر العلائق الحسنة السائدة طوال السنين بين انجلترا وجمهوريات أمريكا الجنوبية ، وهنأ امبراطور اليابان الجديد بمناسبة تتويجه وهنأ بلاده الذي توج التحالف التاريخى بينها وبين انجلترا روح الصداقة والمودة بينهما ، وهذا التحالف هو أقوى ضمان للسلام فى الشرق الاقصى

تحسن الأحوال فى الصين :

أشار المستر بلدوين الى ارتياحه لانتهاء الحروب الداخلية في الصين وتكوين حكومة مركزية تسيطر على الشطر الاكبر من البلاد ، وانه ولو أن الحكومة الجديدة تواجه صعوبات شتى إلا أن برنامجها العملى سيمهد لها

الطريق فى التغلب عليها . وقد كانت سياستنا خلال هذه الثلاث السنين العصيبة حماية أرواح مواطنينا وممتلكاتهم من جهة ، واتخاذ خير الطرق العملية لاتمام أماني الشعب الصيني القومية . وان ارسال الحملة لشنجهاى أنقذ بلا شك أرواح الكثيرين من الانجليز والصينيين وصان هذا البلد العظيم من نكبة محتومة . وإن تأسيس حكومة وطنية صينية جديدة لخير الادلة على تقدير الصينيين لعاطفتنا الودية نحوهم وتقديرهم لمصالحهم فى رفض دسائس موسكو والدولية الثالثة .

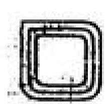
ثم أشار الى الشرف الذى أولاه الملك أمان الله بقبول حفلة مدينة لندن التكريمية والي توطيد علاقات المودة بين البلدين منذ عقد محالفة حسن الجوار بين البلدين منذ سبع سنين وتوثيقها بزيارة ملك وملكة الافغان وأشار الى تقدير جلالته للحفاوة القلبية التى قوبل بها

الرابطة اللاسلكية :

أشار المستر بلدوين الى هذه الرابطة القوية الجديدة التى سترتبط شعوب أوروبا وتقرب فيما بينهم ، اذ يمكن لاى شعب فى أى وقت سماع اغانى الشعوب الأخري وينصت الى أناشيدهم ومحاضراتهم ويتابع وقع خطوات رقصهم

ميثاق كيلوج :

ان تقديم ميثاق كيلوج لمن أعظم ماندين به لاميركا وأن الطريق أمامنا بين « اما أن ندين بروح الميثاق الذي أمضيناه أو نهلك بمدحين » وان تفهمنا لروح الميثاق لخير معوان لنا على حل مسألة نزع السلاح ، فلتقدر كل أمة روح الميثاق وتحلها المحل الاعلى عند تقديرها لحاجاتها من الميرة والسلاح وعند تقدير مصروفاتها فى هذا السبيل عند اعداد ميزانياتها . بذا نبدء عصرا جديدا متكاتفين ، وسنتقدم الى الأمام تحدونا روح جديدة وتحفزنا آمال وأغراض نبيلة



صرعى الحرب العالمية

يوم ماهم فى بريطانيا العظمى

« سلام على الراقدين تحت الثرى — سلام على الذين لا يعرفهم الاَّ الله »

تحت ظلال الاشجار الباسقة ، وفى جوف الصحارى القاحلة ، وفى الرحاب المتسعة المترامية ، فى جوف افريقية وفى شمالها وجنوبها ، وفى وديان آسيا وآكامها ، وفي جوف البحار العميقة ، فى مياه المحيط الهادى وفى بحر الشمال وفى مضيق دوفر ، وفى البحر الابيض المتوسط مهد المدنية وفراش العمران الوثير ، وفى جوف بحر الظلمات مهد الخرافات والاساطير ، في جماع هــذه الاماكن وفى غيرها من كرة الأرض ، ترقد جثث صرعى الحرب العظمى ، جثث الابطال والبطلات ، الأبطال الذين دافعوا عن عقيدتهم وعن أوطانهم وعن حريتهم وعن اشلاء اسلافهم وعن مدنيتهم وعن تراثهم الكبير ، والبطلات اللواتى سقطن تحت وابل الرصاص وهن يواسين جريحاً أو يحجبن عن الانظار قتيلا أو يجرعن يائساً شراباً يجدد فى نفسه الامل ، او يواسين الانسانية فى محنتها الكبرى ومصيبتها العظمى . إلى هؤلاء من كل الامم ومن كل الاديان وفى كل بقاع الأرض ، نرسل من اعماق قلوبنا السلام .

بين يوم وليلة ، او قل بين ساعة وأخرى ، نفخ فى بوق الحرب وفار تنور الجلاد فهبت الأمم تنادى الى السلاح الى السلاح ، واخذت تخوض المعارك عطشى صراع وقتال ، وما لبثت أن عادت بعد سنين قليلة كابى هزيمة وانكسار . لافرق في ذلك بين غالب ومغلوب ، أو ناقز فى ميدان الحرب ومنقور . فعلى رأى الجميع ، نحى السلالة البشرية برمتها ، وقعت الكارثة المجتاحة ، ونزلت المصيبة

العظمى ، فما كان المسالم الوادع في عبقريته بأسعد حظاً من مقاتل يحمل السلاح في ساحة من ساحات الحرب ، فالكل اصبح للفقر نهباً وللموت غرضاً يصيبه ، ان لم يكن من ناحية الرزق ، فمن ناحية المرض ، فان لم يكن من هذا ولا ذاك ، فمن السماء تصب عليه الصواعق ، ومن البحر يرسل اليه بقذائف الغضب الانساني وقد اندلعت ألسنته ، وتلظت نيرانه .

ورفعت الاكف الى السماء ، لا السماء التي يستدرون منها مراحم الله ، بل سماء التقاليد الانسانية ، تلك التي يحكم فيها شعور الاحساس بالذات ويتفوق الذاتية والانانية ، فعمد الزعماء الى جوف ماتحمل القواميس من كلمات ضخمة الرنات حاوية المعاني ، يستفزون بها الشعوب الى القتل والى التخريب إلى سفك الدماء ، حتى اصبحت الأرض وكأنها شعلة من نار تزكيها النزعات الانسانية الخسيسة . فلما ان هبطت النيران وصب عليها من المصائب قدراً أرجعها رماداً ، اخذ الزعماء ينظرون فلا يرون الا خراباً ، ويتطلعون يمنة ويسرة فلا تقع اعينهم الا على بلاقع ودماراً . واذا ببني آدم ، من الزعماء الى الدهماء ، يستنكرون الحرب وينفرون من اسم الحرب ومن ويلات الحرب . واذا بهم يعقدون مؤتمرات السلام ، ويحيون ذكرى الموتى الذين ذهبوا ضحية لا بد منها لارضاء الشهوات وقرباناً يتقدمون به الى آله الحرب الساكن في كل صدر ، القاطن في كل جنان ، بل إن شئت فقل كفارة عما جنت ايديهم في سالف عصورهم ، وقد ظل اهل كل وطن يزكون نار الحقد الوطني ، واهل كل دين يضرمون نار التعصب واهل كل مذهب ينفخون في نار الكراهية والحفيظة ، بلا سبب معقول ولا غرض معروف .

نعم إنما جنت الانسانية غرس يدها ، وحصدت مازرع الوهم ، وما أثبتته التقاليد . التقاليد والاساطير الموروثة ، بل الاكاذيب الشائعة المقدسة التي تفعل في الحياة الانسانية المعنوية ماتفعل حرارة الشمس في الحياة الطبيعية . كلا

ضروري ، وكلاهما للحياة فى طوقها الخاص بها سبب لامفر منه . فكما غيرت التقاليد من الموروثات الانسانية ، وكما سمت بالفكر الانسانى حيناً ، وهبطت به الى حضيض الجهل والفساد أحياناً ، كذلك كونت الشمس الحياة وكذلك الشمس تفنيها .

نرى لك فى السماء خضيب قرن ولا نحصى على الأرض الظعينا
مشيت على الشباب شواظ نار ودرت على المشيب رحى طحونا
تبذين الموالد والمنايا وتبذين الحياة وتهدمينا
فيالك هرة اكلت بنيها وما ولدوا وتنتظر الجنينا

وأى شيء ننتظر من مدنية انسانية ، ظلت طوال السنين ترعى في خصيب من وديان الجهالة والعماء . مدنية قامت على فكرة الفوارق العصبية ، وبنيت على اساس التقاليد التي لم تكتف بالتفريق بين الناس فوق الأرض ، ففرقت بينهم في السماء ، هؤلاء إلى الجنة . وهؤلاء الى النار .

أى نتائج تنتظر من مقدمات شيدت على فكرة أن كل أمة هى الامة المختارة ، لافوق الارض ، بل ايضاً فى السماء ، السماء الغامضة ، السماء المستغلقة باسرارها ومخاوفها ، وانها هى التى يجب أن تحكم بقية الشعوب وانها دون غيرها لها حق الحياة والحرية دون بقية الامم التى يجب أن يكون افرادها عبيداً وإماء . بل اى شيء تنتظر من فكرات ثبتت فى نفسية الشعوب وزكتها التعاليم الانسانية الجوفاء التى طبعت النفوس بطابع الفوارق العقلية والجنسية . لاشيء اللهم الا الحروب والقتل ، من اجل القتل لذاته ، لا لما يكون وراءه من فائدة ترجى أو كسب يجنى .

نسلم ولا بد لنا من ان نسلم ، بعد كل الابحاث الانثرويولوجية والاجتماعية التى وضع أساسها نخبة من كبار علماء هذا العصر . أن النزعة الى الحرب غريزة وانه كان لها من تكوين الشعوب والامم جولة كبرى وأثراً خالداً . ولكن اذا

سلمنا بهذا فلا يجب علينا ان ننسى أن الغريزة في أصلها عادة تعكف عليها الاحياء وتتشربها الطبائع على مدى الازمان خطوة بعد أخرى ، وجيلا بعد جيل ، حتى تصبح عادة « لا شعورية تأتيها الاحياء بغير تنبه ولا تحكيم للارادة . هذه العادة « اللاشعورية » هي بذاتها ما نسميه عادة . بذلك قال داروين العظيم وجاراه في ذلك السواد الاكثر من علماء هذا العصر . لانه اذا كان لكل شيء نشوء ، فلابد من أن نعزو النشوء على اسباب يرجع اليها . وعندي أن تعليل الغريزة بانها عادة اصبحت مع « التسرب الزماني » فطرة « لاشعورية » أمر لايحتاج الى جدل . فاذا سلمنا بكل هذا فلماذا لانسلم بان تدريب العقل البشري على حب الاحسان والقضاء على الفوارق التي دربته عليها غرائزه الوحشية يخرج الانسان من حيوانيته الأولى ويجعل عمل انصار السلام فسيحاً من ناحية عملية صرفه ؟ هذه مهمة يجب أن تلقى على عاتق الجامعات ومعاهد التربية . فان هذه الدور التي نقول جوازاً بان لها في المدنية الضلع الأكبر ، كان لها ايضاً القدم المعلى في تزكية الغرائز الوحشية في صدور الناس . فتاريخ يكتب للتدريس على اساس الفوارق الوطنية جريمة ضد الانسانية ، ومحاضرة تلقى في النشء لتذكر فيه النزعة الى كراهية الشعوب الاخرى استهانة بما للانسان من حقوق في هذه الحياة الدنيا ، وهدم لكل مايرغب فيه انصار السلام من القضاء على الحروب والنزعة اليها . كذلك أعتقد أن الاكباب على دراسة آداب الامم والتغلغل من طريق الأدب الى صميم مشاعرها وموحياتها العقلية والنفسية ، أساس من اكبر الاسس التي يجب أن يقدم عليها السلام ، ليكون فكرة ثابتة لأمنية تشرئب إليها الأمم ، من غير أن يكون لها في قرارة النفوس دعامة تقوم عليها والتوريث أنفى للمورث ، كما أن القتل أنفى للقتل .

***

نكتب هذا بعد أن وقع في يدنا عدد من أعداد جريدة التيمس أصدرته

ملحقاً بمناسبة يوم الهدنة . وتناولت فيه مقابر جيوش الامبراطورية الانجليزية التى تزكى فى نفس الشعب الانجليزى ذكرى حرب انتصر فيها وذكرى ابطال ضحوا بانفسهم فى سبيل المدنية .

وقد صدر العدد برسالة من ملكة الانجليز وجهت فيه الكلام الى الامهات الثاكلات اللاتى نعتقد أن الكلام اعجز عن أن يفرغ على قلوبهن صبراً ، او يميت في نفوسهم ذكرى فلذاتهن المتنزعات في قلوبهم .

واليك نص هذه الرسالة .

« رسالة من جلالة الملكة »

قصر بوكنجهام

في ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٨

« ان كل الذين زاروا مقابر الحرب ، لابد من أن تكون قد اهتزت قلوبهم ، كما اهتز قلبى ، بما يغشاها من جمال برىء ، وبالعناية التامة التى تبذل نحوها . ونحن جميعاً نعرف أن « لجنة مقابر الحرب » تحيطها بنفس العناية اينما كانت المقابر وفى أية بلاد وجدت . »

« في هذه المقابر ترقد جثث كثيرات من النساء المضحيات المقدمات ، وقد فقدن الحياة وهن يخدمن كممرضات أمن الجيش أو متطوعات ، أو ملحقات بالقسم الذى عرف باسمى » .

غير أن هؤلاء اللواتى سقطن فى الميدان ، لسن بمفردهن اللواتى ضحين بكل ماتستطيع الحياة ان تقدم من تضحيات . فان كل رجل من المليون الذى قتل منا فى الحرب ، كان اعز من كل شيء لاحدى النساء وفى كل طرف من اطراف الامبراطورية اليوم تقع على اوليائكن اللواتى يعشن وفي قلوبهم جراح تعجز الأيام عن أن تلئمها » ؛

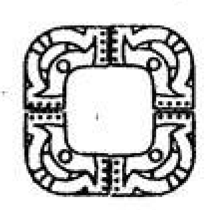
«وانى لأرغب فى ان يصل صوتى الى كل منهن حاملا اليه كلمات التعطف القلبى»

« مارى »

وتقرأ بعد ذلك رسالة من ولى عهد الامبراطورية البريطانية ، البرنس اوف وايلس ، فيها من المعانى المتخالطة ماتعجز عن أن تدرك الى اى مدى تبلغ فى نفس الرجل الانجليزى . وعندى أن هذه الاشياء تنشر فى الناس الا ليجددوا ذكرى الحروب ولتخفى معالم الجريمة العالمية تحت ستار من الاعتذار عما بدر من شطط الانسانية .

وتأتى في النهاية على فصل عقده اللورد لويد المندوب السامى البريطانى عن قتلى الحرب في مصر وفيه اشارة الى من مات من العمال المصريين الذين رافقوا الحملات .

على أننا مهما كان لنا من رأى فى هذه المهازل الانسانية ، فان هذا لايحملنا مطلقاً على أن نغفل عن تقديس ذكرى أولئك الأبطال الذى لبوا داعى التضحية فى زمان فارت فيه النزعات الانسانية في ناحية كان من الواجب أن تصدمها من ناحية اخرى نزعات تهبط من حرارتها . فان هؤلاء الذين ضحوا ، مهما كان التأثير الذى حفزهم الى التضحية ، لابطال خالدون يجب أن تترك ذكراهم من النفوس فى أخص منازل التقديس والاحترام



تركيا

تماشى مدنية القرن العشرين

تعد تركيا التى احياها مصطفي كمال من العدم منذ تسع سنوات مملكة حديثة لاصلة لها بالامبراطوريه العثمانية المندثرة . ولو درسنا حالة ما قبل الحرب تستلفت انظارنا ثلاث حقائق جذابة اولها ان تركية اليوم امة منتصرة محت ماكان مقيدا فى سجل تاريخها قبل عام ١٩١٩ . فقد اراحت ذاتها من ملحقاتها الامبراطورية السابقة التى امتدت الى الفرات شرقا والى ابواب عدن جنوبا . وقد وفقت تركيا باصدار قرارها القاضى بالتخلي عن تلك الملحقات المأهولة بالعرب . من هنا تبدأ خطوة تركية التطورية الثانية . فتركية كمال الحديثه اصبحت ذات وحدة متجانسة . وبعد ان استرد اليونان المقاطعات التى طالما حلموا بها وواجهوا البلغار واليوغوسلافيين فى موضوع ايجاد منفذ لكل منهما على البحر ، آمنت تركيا شر جيرانها . وقد نست تركيا تماما مكة والمدينة والقدس ودمشق واخذت تتغذى ذكرى دفاعها المجيد فى موقعة غاليبولى. وقيدت فى سجل تاريخها الحديث محاربين احدهما طردها لليونان من ازمير والثانى طردها لجيوش الحلفاء من الاستانة . اما الحقيقة الثالثة فنفسية تماما فالذين نهضوا بتركيا قد بذلوا جهدا عظيما لتحريرها من الروح العثمانية وقد تمكن مصطفى كمال من تشخيص داء « رجل اوروبا العليل » بقوله انه مصاب بمرض عصبي مزمن ادى الى ادعاء اوروبا بانها حامية غير المسلمين من ظلم العلم العثمانى . لذلك كان اول ماصنعه ذلك الطبيب الوطنى الماهر هو نقل المصاب من الاستانه الى انقره . حيثما يتمكن من معالجته بلا تشويش خارجي . ثم قرر القرار على وجوب اجراء عملية بتر ، لان العلاج لايفيد فى مثل هذه الاحوال ، فالغيت الامتيازات وازيلت اسباب العدوى الباطنية

بازالة الاقلية الغير مسلمة . هذه الاقلية المكونة من ارمن ويهود واغريق ، اؤلئك الذين لم تكن لهم لغة فى حين كانوا يلوكون كل لغة وكانوا بلا وطن في حين كانو ينتسبون الى كل وطن يتزوجون من أبنائه لدرجة انهم كانوا يقولون عن وطن كل من يتكلمون معه « وطننا » ولم تكن لهم عاصمة ولم يوالوا حكومة ، فى حين انهم كانوا رعايا لكل الحكومات . فهذه الأقليات التى كانت تدفعها الاطماع السياسية والدينية . فقد بعدت الآن بطريقة مثلي تخالف طريقة المذابح والاضطهادات التى كانت متبعة قديما . حقيقة كانت هذه الأقلية نشطة فى اعمال الوساطتين الاقتصاديه والتجارية ، ولكنها كانت غير مرغوبه . ولذلك طردت وتبع ذلك سقوط الاجانب من المركز الممتاز الذي ادعوه طويلا لذواتهم بحكم الامتيازات

بدأ المصلحون بعد ذلك بالاهتمام الى داخلية المنزل فارتأوا ان نظم الامبراطورية العتيقة لم تعد صالحة لهذا العصر . لذلك عولوا على اشادة وطن جديد على اساس وطنى بعيد عن تقاليد الخلافة والسلطنة وما علق بهما من النفوذ الدينى . فالتقاليد الحميدية كانت ترمى الى خدمة الخليفة غير مهتمة بالامة ونجاحها . وقد اصاب الغازى فى استنتاجه بان التركي محافظ بطبيعته فابقاء اى اثر للسلطنة او للخلافة من بيت آل عثمان معناه ايجاد نظام داخل نظام ولذلك قضى على النظام القديم سواءاً كان حميديا او انوريا (حزب تركيا الفتاة)

ويمكن القول بان الثورة التركية ليست الا صورة للثورة الفرنسية . فقد جمع مصطفي كمال فى شخصه شخصيات ميرابو ودوموريى وروبسبيير ونابوليون (القنصلية الأولى) وكانت ازمير التركية بمثابة جيماب الفرنسية . وقد محى حكم الارهاب الارستقراطية التركية واخيرا ايضا خضعت القسطنطينية على اثر الانتصار في ساحة مودانيا . ولو ان مصطفي كمال قد بلغ تلك الذروة من الشهرة فما زال الثالوث المكون منه ومن عصمت رئيس وزرائه ورئيس الحزب الوحيد وفوزى قائد جيشه وكبير بوليسه متماسكا يشاطر

عضواه الاخيران الغازى فى شهرته ويعمل الجميع معا لرفع شان الأمة التركية وكلهم قد خبر الحرب وعرك السياسة وله ماضى مشرف ويد نظيفة ومن حسن الحظ انهم ظلوا على ما كانوا عليه ولم يتركوا للوقيعة والدس مجالا بينهم ، فخاض كلا منهم الشدائد فشتتوا وشنقوا ولكنهم تمكنوا اخيرا من الحكم المنظم بالرغم من انه حكم ديكتاتورى . فهم الآن انموذج الوطنية الحديثة وقلوبهم ملآى بحب وطنهم واحترام مواطنيهم .

ووجه هذا الثالوث التفاتة صوب الحالة الاجتماعيه واوجد مبدأ تركيا الجديد « تركيا للاتراك والاتراك النشطين دون غيرهم لتركيا » أما التركي القديم فقد كان كسولا لدرجة أنه أسلم قياد نفسه للاقلية النشطة فتحكمت فى أموره الاقتصادية والادارية . والسبب فى ذلك هو سوء نظام التعليم والخرافات الدينية التى وقفت عائقاً فى سبيل متابعة التركي لروح العصر الراقية والدافعة له للتنازع مع من هم أقل استعداداً منه . وأما التربية الاجتماعية التركية فكانت طريفة . فقد كانوا يدربون التركي على العزة الوطنية والشخصية وكانوا يدفعونه بلا وعى لتقليد الغرب

وقد أفلحت سياسة الغازى فى الاقلال من أثر الضعف الوطنى وتأثرت العقلية التركية بطريقة غير مباشرة من المجهود الذى بذله وكان لزاما ، لاجل بناء تاريخ جديد ، قطع صلة الحاضر والمستقبل تماماً بالماضى المخزى. هذا هو السر الذى تحويه كل ألغاز السياسة المشيدة الحالية التى ترمى الى اصلاح مجري الحياة التركي

وأول تجديد بدىء به هو استبدال الطربوش بالقبعة . وترك الحرية لمن يردن السفور من النساء . وكلنا يتذكر كيف احتفلت تركيا باسترداد الاستانة وكان من لزوميات ذلك الاحتفال الاحتفاظ بالطربوش للدلالة علي تمكن التركي من قهر الغربي . ولكن بعد ذلك بعامين انتهز الغازى فرصة امضاء معاهدة الصلح ، فحرم لبس الطربوش ولم تكن هناك فرصة لاستجلاب كل ما يحتاج اليه الاتراك من القبعات . فكم كان غريباً أن تري الناس يلبسون كل ما تقع أيديهم عليه من أنواع القبعات

أما التحجب فقد كان على العكس مما سبق. فبالرغم من أن ٩٠ ٪ من نساء المدن الغربية سرن سافرات . فان أغلبية نساء المدن الاخري التى كانت معقلا للتقاليدالدينية لا يزلن مخفيات لوجوههن . ولم يكن اختفاء الطربوش وانتشار السفور إلا مقدمة لانواع أخري من التجديد فبعد أن ربض الغازي عامين آخرين ظهر دفعة أخرى علي المرسح ليعمل بعزم لتنفيذ سياسته الجدية . صرح اسماعيل باشا الخديوى بان مصر لم تعد جزأ من افريقيا ولكنها جزء من اوروبا وهذا منذ خمسين سنة . وكان يرمى الى قطع علاقات امته بالنظام الشرقى ولكنه اتبع طرقا أضرت به وبامته معا

وقد وجدت هذه الرغبة عند كمال ولكنه لم يغرق بلاده بوفود الاوروبيين ، وأغلبهم من المسترزقة كما فعل اسماعيل، ولكنه حاول الوصول الى نفس الغاية بواسطة الاتراك انفسهم رغبة فى تسيطر ابناء وطنه على مواردهم دون الغربيين

ويجب ان لا ننس ما سبق لنا قوله من ان الاسلام تحت نظام الخلافة قد اوجد لنفسه نفوذا سياسيا واجتماعيا فى تركيا . وظل هذا النظام سائدا من مهد العصر القديم الى لحده . فقد كان قسيس القرية « الخوجه » ـ العالم ـ ممثلا سلطة الخليفة الروحية . وكان مستقلا تمام الاستقلال عن الحكومة وفي اغلب الاحيان كان معاديا لها وكان شيخ الاسلام بحكم مركزه وزيرا للدولة وكان يسيطر على مقدار غير قليل من ثروة الدولة — الاوقاف — ارصدها المؤمنون لاعمال البر والتعليم فهذه الاموال كان يساء استعمالها فى العصر الماضى باستخدامها فى المصالح السياسية . خصوصا وانه لم تكن للحكومة اى سيطرة عليها . لذلك كانت آمال الفلاح التركي تقف عند رغبته فى اختصاص ذاته بجزء منها ولم يكن ذلك ميسورا له الا اذا اكتسب ثقة « الخوجة » عن طريق الطاعة . وأسوأ أثر لنظام الاوقاف كان ابعاد التركي عن التعليم واحاطته بالخزعبلات والاوهام ، لذلك ضرب الغازى هذا النظام ضربة قاضية فازال وظيفة شيخ الاسلام ووضع الاوقاف تحت

للسيطرة الحكومية . ومن ثم اخذت الحكومة التركية على عاتقها القيام بنشر المعارف الامر الذي يخلد لمصطفي كمال بحق لقب « مربى النشء »

وبالرغم من اطاحة الغازي بالخليفة وشيخ الاسلام لم ير الفرصة مناسبة لمشاكسة الاسلام بصفته دين الدولة . فابقى فى صلب الدستور ما يفيد انه كذلك ولكن فى اوائل هذا العام رجع عن تردده وبجرة قلم طلق الدين ثلاثا لاسباب سياسية فاصبح الاسلام بذلك لا اكثر من دين كبقية الاديان وتدل الاخبار الاخيرة على انهم فكروا في تأثيث المساجد بمقاعد وأدخلوا الموسيقى فيها وبذلك لا يضطر المسلم المتعبد الى خلع حذائيه اذا اراد الصلاة وهذه خطوة جريئة يعرفها كل الذين خبروا الاسلام . ويظهر ان الناس قد أقبلوا على هذا الجديد كما اقبلوا من قبل على كل جديد أوصى به الغازى

واتبعوا نفس الطريقة في نظام التربية والادارة . فاللغة التركية ليست اكثر من خليط من اللغتين العربية والفارسية وهى لغة غنية فى الاعراب عن المعانى ولكن ينحصر ضعفها في عدم وجود صلة بينها وبين اللغات الاوروبية الامر الذى لا ييسر لها هضم تلكم اللغات فهى لذلك أصبحت عقبة فى سبيل التمدين المطلوب . فارتأوا ان يستبدلوا الحروف والارقام القديمة بالحروف والارقام الاوروبية وقدروا لنشر الاحرف والارقام الجديدة خمس سنوات . وقد اخذ الغازى علي عاتقة نشر الدعوة بنفسه فهو لا يكتب الآن الا باحرف لاتينية . ولا يقرأ الا ما كتب بتلك الاحرف . وفوق ذلك اهتم بمسألة تدريس هذه الاحرف بنفسه ، فى سراى ضولمه بغجسى التى كانت يوما ما مقرا لعبد الحميد ، لوزراء الدولة ولكبار موظفيها وهو لا يبخل بساعات عديدة كل يوم من وقته لتعليم الناس مبادىء القراءة والكتابة وفقا للنظام الجديد . وقد انتشرت فصول للتعليم فى كافة انحاء الجمهورية

وقد أثمرت الحركة الكمالية التى تعمل لايجاد « اتراك نشطين لاجل تركيا » فانك ترى الهوانم السافرات يعملن فى مصلحة التليفون وتري ساعة العمل دائرة على أتم نظام . بينما يختال رجال الجيش والبوليس فى ثيابهم المرتبة النظيفة

وهم مطمئنون علي مرتباتهم التى تدفع لهم وقت الاستحقاق بالضبط . وترى الطرق عهدة ، ومواعيد السكك الحديدية فى غاية من الضبط . مثلها كمثل مواعيد الرقاصات . وفوق ذلك قد اصبحت انقرة اليوم غير انقرة ١٩١٩ اذ نفضت عنها غبار الماضى فازيلت من حولها المستنقعات المسببة للامراض فتركية الآن مثال للنظافة والنشاط تسير على طريق التقدم بقدم سريعة ثابتة

هنا يجب أن نشير الى الحالة الاقتصادية فالملاحظ أن تركيا قد دفعت ثمناً غالياً للتقدم الذى تسعي اليه وقد نتج ذلك عن طردها للاقلية الغير مسلمة التى كانت تقوم بعملية الوساطة بين المنتج التركي والمستهلك الاوروبى وبالعكس ومن الملاحظ أيضاً أن مقدرة التركي عاجزة عن مماشاة روح التجارة العصرية فنتج عن ذلك عجز المحصول التركى عن احتلال المكان اللائق به . الامر الذى سبب عسراً داخلياً . ولكن الظاهر أن الغازى قد انتبه لهذا الامر ولكن لم تثمر جهوده تماما حتي الآن من هذه الجهة فى حين أن التركي قد لبي دعوة الغازى من الوجهتين السياسية والاجتماعية . و بالاختصار فان تركيا قد أصبحت للاتراك ولكن لايزال الوطن التركى فى حاجة الى « التركي النشط الامثل »

ملخصة عن الانكليزية

الخرطوم

ط . ه . حنين

شعر التجديد

ومذاهب النقد

النقد الأدبي ورجاله ـ المذهبان الأصيلان ـ حدود المذهب الفردي ـ تطبيق المذهب العام

(١)

النزاع بين الأدباء والناقدين قديم معروف ، لا تخلو منه آداب أمة من الأمم ، فالنقاد متطرفون غالباً ، والأدباء الذين أرهقهم جدهم فى إخراج ثمرات عقولهم ونفوسهم وأعصابهم لا يسرهم أن تتناول المعاول المتطرفة في غير إشفاق ؟ بل ويتملكهم الغضب إذا رأوا عيباً محصوراً ـ نسبياً ـ يتطاول على مؤلفاتهم فتنالها سخريته اللاذعة ! . . ولعل هذا هو الذى دعى شلى (Shelley) الشاعر الانجليزى المعروف إلى أن يقول :

« ماعدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة ، وكما يتحول اللص المفلس فى يأسه إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد » ! . .
وهو رأى قاس ولكنه صادر عن نفس أمضها عنت الناقدين ، ولعل كلمة شلى هذه ـ على شدتها ـ أخف على النقاد وطأة من الكلمة الناعمة التى يصفهم بها الأديب الشهير كولردج (Coleridge) حيث يقول :

« النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا وقد جربوا مواهبهم فى هذا أو ذاك ففشلوا . ولذلك انقلبوا نقاداً ! » . . . وصراحة إننى أميل غالباً إلى الاتفاق مع هذين الرأيين وإن كنت لا أحب استعمال العبارات القاسية . فالفرض الأول من النقد هو

الاصلاح ، وذلك يقوم على شيئين : الهدم والبناء . . . لا الهدم فقط ، لأننا نهدم تمهيداً للبناء . فالأول عرض والثاني جوهر . وليس كل شيء قابلا للهدم لأن هذه العملية من أسهل الأمور ، فيجب أن تقوم أسباب وجيهة تدعو إلى ذلك أولا ، ويجب أن يعقب الهدم بناء أصلح من المهدوم أخيراً . . . ولا داعي لهدم لا يعقبه بناء مهما رث المهدوم . فشيء خير من لاشيء ! . .

وليس لنقد الأدب أو الشعر قواعد ولا موازين تميز الزائف من الصحيح ، ولكنها مسألة متروكة لذوق الناقد وملكته الأدبية وسعة اطلاعه ودقة ملاحظته ؛ ثم ان قرار الناقد لا يمكن أن يكون مع ذلك رأياً مقطوعاً بصحته ، فليس له أن يتحكم في اختيار الحدود التي يقيمها للأدب ، أو يتعنت في أحكامه على الأدباء ثم يطلب منهم أن يؤمنوا بها أو يحلوها محل الاعتبار ! . . ويجمل بنا أن نذكر هنا أن للنقد مذهبين أصليين هما : المذهب الفردي والمذهب العام ، ولا يقتصر المذهب الفردي على المذهب الشخصي فقط . فقد يكون مذهب جماعة من الناس ولكنه يفتقر على أي حال الى مبادىء المذهب العام ، ولعل من تحصيل الحاصل أن نقول إن الناقد المنصف هو الذي يفزع إلى المذهب العام فينقد الأثر الأدبي حيث هو ، متأثرا بالوسط والبيئة ، مراعيا الآراء والافكار التي تلابسه وتشغل أذهان معاصريه ، ثم يصدر حكماً يتناسب مع أثره في عصره وقيمته في البيئة التي خرج منها . أما المذهب الفردي فهو مجرد آراء مطلقة قد تكون متباينة ولكنها مع ذلك قليلة الجدوى !

أما أن يتقدم ناقد فيخترع لنا قوانينا للشعر والشعراء ويطبقها على الوجه الذي يختاره ولا يقبل في ذلك نقاشا ولا مراجعة ! فنحن لا نفعل معه أكثر من توجيه نظره الى اقوال شلي وكولودج التي ذكرناها آنفا . . .

وإما أن يرى الناقد أثراً أدبيا فيقبض شفتيه ويهز رأسه ويتمتم قائلا « هذا لغوا . . . هذه دردوة ! » فاذا طلب اليه أن يسجل آراءه حتى يمكن

مناقشتها والرد عليها أتاك بأساليب لولبية عجيبة لايفهم منها شيئاً مستقلا ، أو يغيب على الأديب مفخرة من مفاخره ويعدها من المثالب ثم ينتظر تصفيق الاعجاب فهذا مالا طاقة لأحد — دع عنك الأديب نفسه — باحتماله ! . .

ومع ذلك فقد كان الشعراء ـ ولا يزال بعضهم إلى الآن ـ يتلطفون للنقاد فى الرد ، ويحاولون أن يفهموهم فى هوادة وجهة نظرهم ، أو بالحرى انهم كانوا يقومون بوظيفة الناقدين لما يكتبه النقاد أنفسهم ؛ ولقد كان أحرى بهؤلاء أن ينتفعوا بهذه النماذج التى تخلصهم من أغلال المذهب الفردى وتسمو بهم إلى المذهب العام ، ولكن كبرياءهم أبت عليهم مثل هذا فتسعت دائرة الخلف بين الشعراء والنقاد وأصبح اكثر أولئك لايعنى بما يكتبه هؤلاء . ومن ثم انحط عندنا فن النقد فقد انصرف عنه الأدباء وانصرف إليه المتسكعون !

وليس معنى هذا أننا ندعو إلى ترك المذهب الفردى فى النقد أو نبخسه قدره ، فله أثره ، ولكنا نقول إنه لايكفى وحده ، ولكن حبذا لو أخذ الناقد بالمذهبين .

وسندرس معاً شعر شاعرين من كبار شعرائنا على الطريقتين : الفردية والعامة وقد نتخلص بعد ذلك إلى المقارنة بينهما فذلك يسهل بعد تلك الدراسة :

وسيكون الشاعران هذه المرة ـ وعلى سبيل المثال فقط ـ أبا شادى والعقاد ، وقد نعود لهما أو لغيرهما فى فرصة أخرى .

(٢)

وليكن المذهب الفردى ـ مثلا ـ أول المذهبين اللذين ندرس عليهما أدب أبى شادى والعقاد . . . ولتكن دراستنا عملية منطقية وسنجتهد فى التحديد لتكون سهلة سائغة ؛ وقد يعجب بعض القراء مما سنتحرى تحديده من قواعد هذا المذهب . وربما ذهب إلى أنه لا يوجد من يتخذ من مثل هذه القواعد مقياساً

نقد الشعر ، ولكننا نطمئن هذا البعض ونقول إن ما سنذكره ليس من وضعنا ولكنها صادفتنا فيما قرأناه من نقد يوجهه دعاة المذهب الفردى إلى بعض الشعراء ! . . أما قواعد هذا المذهب فيمكن تلخيصها فيما يأتى :

(١) إن الشاعر لايجب أن يتأثر بما كان ينشره الفلاسفة عن السعادة والفضيلة وغيرها

(٢) يجب أن لا يكون الشاعر ذا حرفة « تستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » لأن لذة العمل العلمى قد « يستنكرها البعض على شاعر » !

(٣) يجب أن يحوط الشاعر اذا عرض النظم للتصوف « ابهام المتصوفين المألوف » ولا يجوز أن يكون « واضح منهج التفكير » !

(٤) « الشعر والفلسفة والعلم مراتب متفاوته فى إدراك الحياة وتصورها ، تختلف من حيث الابهام والوضوح ولكل منها حدودها » ولا يجوز مطلقاً أن يهضم الشعر شيئاً من العلم أو الفلسفة !

(٥) لا يجوز للشاعر أن « يتحرى التحديد فى أفكاره ، وأحرى بأن تقرأ تلك الحدود الفنية التى يقيمها للشعر فى كتاب نقد لا فى ديوان شاعر » وأسلوب الشاعر وأفكاره ومعانيه يجب أن تكون بعيدة عن الترتيب المنطقى لأن المنطق علم وفلسفة والشعر لايمكن أن يهضم علما ولا فلسفة !

(٦) يجب أن يتحرى الشاعر التأنق والتظرف فى شعره ؛ لأن مهمة الشعر هى أن يبهج الحس ويرضى العاطفة وكفى ! . .

(٧) الفضيلة والشرف والعفة صفات لا يجب أن يعرفها الشاعر ولا أن يذكرها فى شعره !

(٨) الحياة الطاهرة البريئة غير مستحبة من الشاعر الذى يجب أن يغذى شاعريته « بالاسترسال فى دفعات الشباب الحارة » !

(٩) ليس الشعر وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى . وعلى الشاعر أن

يتورع عن نظم شعر التهذيب والشعر الانسانى ، والشعر الأخلاقى ، لأن ميدان الشعر ليس منبراً للوعظ والتهذيب

(١٠) « الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور من أشرف الغايات التى يدعو إليها الانسان ولكن الشعراء يجب أن يكونوا آخر من يدعو لذلك » لأن الشياطين إذا ارتحلت عن هذا العالم وأصبح الخير حاكم الدنيا الأوحد لايجد الشعراء ما يقولونه إذذاك !

(١١) لاينبغى للشاعر أن يكتم أحزانه « ويأسر جراح قلبه » من غير أن يسمع الناس صراخه وعويله !

(١٢) لايجب أن « يتوخى الشاعر فى الأسلوب مايدعوه تمصيراً للغة إزاء من ذهبوا إلى إلباس اللغة ثوب الاستعراب والبداوة « ودعاة هذا المذهب يقولون ان « الأسلوب العربى القوى بليغ فى كل زمان ومكان » ! ..

(٣)

هذه هى المبادىء الاثنا عشر التى أقاموها حدوداً للمذهب الفردى في النقد ، وهي فى اعتبارى هادمة لشعر التجديد والتسامى ، ونود الآن أن نطبقها معاً على أدب الشاعرين المختارين هذه المرة : أبى شادى والعقاد ، وقد يكون من المناسب أن نذكر قبل هـذا التطبيق أن واضعى قواعد هذا المذهب راعوا فيه أخلاق أمثال العقاد ومبادئه لأنهم يعجبون بأشباحها إلا أنك ستراه يخالف مع ذلك جوهر المبدأ . . . . ولنبدأ :

(١) لاينكر أبو شادى تأثره بما كان ينشره الفلاسفة القدماء عن السعادة والفضيلة وغيرها ، أفلا يقول فى « السعادة — وفلسفة سقراط » :

لولا بحوثى وشكي لما عرفت (السعادة)
كأن سقراط أوحى إلى فؤادى فؤاده !

ثم أليس العقاد هو الذي يقول للسعادة :

وقد سألتك حتى ... مللت طول سؤالك

وترى أن أبا شادي كان يريد أولا أن يعرف كنه السعادة وعز عليه أن يقضي عمره وهو يجهلها :

عمري تقضى بجهلي ... ففيم أبقى اعتداده

حتى عرفته بها فلسفة سقراط فتركته يقول :

أما السعادة عندي ... فلذة مستعاده

إلى أن يقول :

لكن ولوعاً بخير ... فالخير أصل السعادة

أما العقاد . فقد اشتهاها وألح في طلبها حتى مل الالحاح وعرف إذ ذاك أنه يجهلها :

وقد جهلتك لما ... سحرتني بجمالك

ثم تركها معتقداً أن :

أشقى الأنام أسير ... معلق بحبالك

ثم خيل إليه أنه يعرف معدنها فقال :

إن السعادة تحت الأرض معدنها ... لا يطلب السعد من آوته أجيال

ولكنه رجع أخيراً وهو يعتقد .

إن السعادة لن تراها في الحياة بمقلتين

ولا شك أن كليهما متأثر في هذا إلى حد ما بآراء الفلاسفة :

وعلى ذلك فمذهب النقد الفردي يسقط من حسابه هذين الشاعرين ولكنه يوصي بالعقاد خيراً . لأنه مازال يتخبط لا يتركه جهله بالسعادة يهدأ على حال !.

(٢) « أبو شادي الشاعر يحترف الطب » هذا صحيح ، وقليل من يجهل أنه اختص بجانب دراسته للطب بعلم البكتريولوجيا . واهتم أيضاً بدراسة ع

لأبقلطوريا (تربية النحل) وله فى ذلك رسائل علمية قيمة . . . فهو إذن غير فارغ للشعر . أما العقاد فقد يكون من الجائز أن تحسبه صحفياً ، ولكن الصحافة « لاتستنفد شطراً كبيراً من جهده وعنايته » فهو إذن فارغ للشعر أو على الأقل أكثر فراغاً له من أبى شادى وهو لذلك أشعر منه (!) ودع عنك انه — رغم هذا الفراغ — لم تتمخض شاعريته فى السبع السنوات الأخيرة سوى عن جزء صغير من ديوانه لايحوى اكثر من قصيدته في رثاء المغفور له سعد زغلول باشا وبضعة أبيات مبعثرة ... ودع عنك أيضاً أن أبا شادى — رغم هذه الشواغل — أخرج فى الست السنوات الأخيرة أكثر من عشرة مؤلفات تفيض شعراً ! . دع عنك كل هذا فدعاة المذهب الفردى يسقطون أبا شادى هذه المرة من زمرة شعرائهم لأنه كثير المشاغل ويثبتون العقاد لأنه أكثر فراغاً ! . . :

(٣) لايرى أبو شادى مبرراً للابهام فى شعره التصوفى ولا في سائر شعره وهو يرى أن الخيال العالى البعيد أجمل من الابهام ، وانظر إلى قوله :

مرت ملايينها لمحاً كثانية ... وخلفت حيرة كبرى لمن فهموا

ماالخلق؟ ما هذه الدنيا ومنشؤها ... ماالفكر؟ ماالجوهر الباقى؟ وماالعدم؟

مسائل هي للأحقاب باقية ... كما سيبقى الردى والشك والألم

أجل فرض لها وهم ، وأيسره ... وهم ؛ وقد يستوى الدهماء والعلم!

ألا ترى أنه محق في قوله ، وأن الوقت قد حان لترك « ابهام المتصوفين المألوف » !

أما العقاد فلا نعرف له شعراً فى التصوف أو مايقاربه ؛ ولكننا نعرف له قصيدة فى معنى عكسى هى (ترجمة شيطان) التى يقول فيها عن الخالق :

قال كونى محنة للأبرياء ... فأطاعت ؛ يالها من فاجره !

ولو استطاعت خلافاً للقضاء ... لاستحقت منه لعن الآخره

وأنت ترى أنه لايحوطه فيها ذلك الابهام أيضاً ، وعلى ذلك فدعاة المذهب

الفردى يسقطون أبا شادى من حساب شعرائهم فى هذه النقطة: ويلحقون به العقاد، وإن أخذهم على هذا الاخير عطف ! . .

(٤) يرى أبو شادى أن لامستقبل للشعر إن لم يهضم العلم وليس معنى هذا أنه يدعوا إلى نظم النظريات العلمية ولا أن يتضمن الشعر الحقائق العلمية البسيطة عارية، فمثل هذا الظن لايدل إلا على سخف صاحبه !. . ولكنه يود لو هضم الشعر فكرة علمية سامية أو معنى علمياً طريفاً . . . يقول أبو شادى فى قصيدة مطلعها :

رحماك! كيف أرقت قدسى الدم؟! روحى أرقت به وإن لم تعلمى!

يصف نقطة دم « شفاعة على كتاب حب » :

يانقطة القلب الحبيب بما وعت أهلا بمقدمك الحبيب المكرم !
حملت آلاف الكرات جميلة فكأنها قبل سترن لمغنم
وكأن عينى مجهر نظرت بها ماغاب عن نظر الخلى أو العمى

فهل خسر الشعر شيئاً من صحبته للعلم فى هذه الأبيات الرقيقة الطريفة ؟!..
أما آن لنا أن نتخلص من هذه القيود التقليدية التى تأبى صداقة العلم والأدب والفلسفة !

ولماذا نحرم على شاعر أن يقول للشمس :

ياحياة الكون مهما حجبت عنه نصف العمر وحياً ماغبن

يشير فى ظرف وبراعة إلى تقسيم الاشعاع بين نصفى الكرة الأرضية أو يقول لها :

أنت أصل الأرض والبدر الذى يعشق الأرض إذا البدر فتن
ونظل الدهر نهوى خشعاً حسنك الباقى على مر الزمن

أو يقول فى قصيدة (الجامعة المصرية) يتخيل مستقبل العلم وفتح القمر :

إن (السيرمان) — الذى حامت به أحلامنا — المستبسل المغوار

الدارس الدنيا دراسة مبدع لا الأرض تكفيه ولا الأقمار
ولربما ركب الأثير موفقاً وتذللت لعتوه الأخطار
فيطير (للقمر) المرحب مثلما طارت الى أوكارها الاطيار
هو بضعة (للارض) ليس يفوتها وكأنما هذا (الاثير) بحار
وجميعها يوما ستصبح مركبا سهلا وتهتك حولها الاستار
ولربما وجد المياه به، وان عدمت تغلب علمه الجبار:

وهي قصيدة بديعة نجتزىء منها بهذا ولو اتسع المقام لما تركنا منها بيتا ...
فهل من النصفة أن نحرم شعر التجديد هذه المعاني العصرية الخالدة !..

أما العقاد فشعره لا يهضم شيئاً من العلم لان ظروفه لم تهيء له دراسة علمية صحيحة، وليس في هذا أنه لا يوافق على هضم الشعر للعلم فانه يحاول ان يكون في بعض قصائده منطيقاً، والمنطق علم فلسفي وهو وان كان قليل التوفيق في منطقه فانه من أنصار هذه الفكرة... وعليه فدعاة المذهب الفردي يسقطون من حساب شعرائهم أبا شادي ولكنهم قد يترددون في اسقاط العقاد هذه المرة!...

(٥) حقيقة أن ابا شادي يتحرى التجديد اللفظي في مواقف، اما التجديد المعنوي فان الخيال في الاستعارة والمجاز يتركان في المعنى مجالا لتفكير المفكر، أنظر الى قوله:

أقصى الظنون وجودي أصله العدم ومن عجيب وجودي ليس ينعدم

فقد يكون ظاهر هذا البيت التجديد ولكن الواقع ان فيه للتأمل مجالا غير محدود

أما العقاد فهو وان كان يتحرى التجديد اللفظي الا انه أشبه بتجديد معنوي أيضا، انظر الى قوله.

أنت يارب لطيف في القضاء فاصعق اللهم من يجحد فضلك
قسما باسمك يارب السماء ما أرى في الناس من يدرك وصفك

فهل ترى فى هذين البيتين ما يبعث فى نفسك روح التفكير أو حتى ما يساعد عليها ؟ ! . . . إن التحديد هنا لفظى ومعنوى فلا تخرج معانيهما عن هيكل ألفاظهما قيد أنملة . واذن فجماعة المذهب الفردى يسقطون العقاد من حسابهم هذه المرة وهم راغمون كارهون ، وأنا واثق انهم سيسقطون من حسابهم معه أبا شادى فلنتركهم يفعلون ذلك ففيه له مفخره !

(٦) الشعر فى رأى أبى شادى « هو تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة هو لغة الجاذبية وان تنوع بيانها، هو أوحدى الاصل فى المنشأ والغاية وصفا وغزلا ومداعبة ورثاء و وعظا وقصصاً وتمثيلا وفلسفة وتصويرا ؛ فان مبعثه التفاعل بين الحواس ومؤثرات الطبيعة ، وغايته العزاء والاحتماء بهذه الطبيعة ، وان تضمن أحيانا الغضب والسخط ، وما هو الا غضب الاطفال الصغار » وهو لهذا يمقت التأنق والتظرف والتصنع المبتذل . . .

أما العقاد فهو وان كان لا يفتأ يعلن سخطه على هذا التصنع والتظرف الا ان الواقع يثبت انه انما يتأثر بعض القدماء فى ديباجاتهم المتأنقة ! واذن فالمذهب الفردى يسقط من حسابه أبا شادى ولكنه يستمسك بالعقاد

(٧) يعتقد ابو شادى انه .

ليس يكفى الشعر فنا تلاه فهو روح النبوة المتعالى
كل شعر سواه لحن ضئيل وشعاع يموت طى الليالى

فالشعر أثمن من أن يصرف فى تزاويق لفظية أو معنوية لا طائل تحتها ! . . وهو لذلك لا يرى ما يمنعه من معالجة الموضوعات المهمة كالعفة والتعاون والفضيلة، وهو الذى يقول لهذه الأخيرة .

كم دهانى الاسى لفرط اكتئابك للامانى وللهوى والغوانى
ودعى هذه النفوس ورفقا بمنى عذابه من عذابك !

وهو القائل عن الرذيلة أيضا :

ومن خاض الرذيلة فى دروس   تنزه عن عواقبها عليلا
ولكن المجانب خوف ضعف   يزل ويقتدى بعد الذليلا

أما العقاد فقد يوافق دعاة المذهب الفردى على أن الفضيلة والعفة والتعاون وما اليها صفات لا يجب ان يعرفها الشاعر، وهو يحسب نفسه « بالطبع ! » من فحول الشعراء ! . .

(٨) « يعيش أبو شادى عيشة بريئة طاهرة لم يشبها استهتار بلذة، ولا استرسال فى دفعات الشباب الحارة » هكذا يقرر دعاة المذهب الفردى ويزيدون أن هذه الحياة لاتنتج الشاعر الذى يجب أن يغزى شاعريته « بالاسترسال في دفعات الشباب الحارة » ولا أخال أبا شادى نفسه الا ملتمسا من هؤلاء الدعاة فى رفق ان يصدروا أمرهم الكريم باسقاطه من حساب شعرائهم هذه المرة أيضا ! . . .

أما العقاد فنحن لا نعرف شيئاً عن حياته ولكنا نظنه ان يسقط من حساب شعرائهم هذه المرة فلنتركه . . .

(٩) « أسمى ما بلغه الشاعر أخيرا من غرض انما هو درس الحياة وتحليلها وإذاعة خيرها ومكافحة شرها، وهو غرض نبيل جامع وإن تكيف بصور شتى ».

وأبو شادى إذن لا يرى بأسا من اتخاذ الشعر وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى ولا يتحرج فى نظمه شعر التهذيب والشعر الانسانى .. أو ليس هو القائل:

إن « الحياة » تضافر وتعاون   سيان بين غنيها والمعدم
حتى الجماد فقد يؤازر بعضه   بعضاً، فكيف بمن لروح ينتمى ؟

ألا ترى ان فكرة التعاون التى تبثها مثل هذه الأبيات لا ترضى إخواننا دعاة المذهب الفردى الذين يريدون أن يجعلوا من ميدان الادب مضمارا للصراع والملاكمة!

ثم هل ترى فى ديوان العقاد جميعه بيتا يحمل هذا المعنى أو حتى معنى يماثله؟؟! إذن فلا تلم أبا شادى ان انسحب — هو — بلطف من شعراء هذه الزمرة وترك العقاد ينعم بزعامتها ! . .

(١٠) لا يمكن لشاعر مجد مخلص لنفسه ولفنه أن يعيش فى الحياة بلا مثل أعلى ، ولو وقع المستحيل، وارتحلت الابالسة عن العالم. وأصبح الحق حاكم الدنيا الاوحد فهل تظن أن مطامح الانسانية تقف ! . . انها تتحرر اذ ذاك من الغرائز السافلة وتنصرف عن الحيوانية الى التكميل والتحسين المستمر ، واذن فلا يمكن لابى شادى ان يترك الحض على التفاؤل ومحاربة الشرور وقد اعترف دعاة هذا المذهب أنفسهم انها « من أشرف الغايات التى يدعو اليها الانسان » . ولعمرى لماذا يفرضون ارتحال الشياطين عن العالم وحكم الدنيا بالحق وحده ليمنعوا شعراء الاصلاح من مناجاة مثلهم العليا التهذيبية . لانهم لن يجدوا مجالا لنظمهم اذ ذاك ، ولا يمنعون شاعرا فاسقاً معربدا من الاسترسال لانه هو الذى لن يجد هناك المجال لعربدته ! . .

ونحن لانعرف رأى العقاد فى التفاؤل ولكننا نلمس تشاؤمه في مناسبات كثيرة فليسقط دعاة المذهب الفردى أبا شادى من حساب شعرائهم وليهنؤا بالعقاد!

(١١) ابو شادى رجل يعرف ان الحياة طافحة بالمآسى، ويدرى ان لكل امرىء فيها مكمنا يبعث الشجن فى نفسه — ولقد عاكسته الظروف وعاندته ولكنه يفضل ان يكتم أحزانه ، وان فاضت أحيانا على الرغم منه.

وأما العقاد فكلنا يعرف انه رجل رفعته الظروف الحسنة إلى مستوى الادباء والشعراء ، ولكنه مع ذلك لا يترك فرصة تمر دون أن يملأ الارض بصراخه وعويله!

(١٢) لفتى الذى يوحيه ذوقى والذى   لبى به الأدب الحديث ندائى
وأرى فمى وحجاى ثم يراعتى   ملكا لموطن الشقى شقائى

هكذا يقول أبو شادى رداً على الذين يعيبون عليه أسلوبه الحر المتدفق وإليك برهانه :

« الشاعر رسول قومه ، فيجب عليه حتما أن يكون بيانه بيانهم ، والا كان غريباً عنهم ، وهذا يعنى اجتناب التقعر وغريب التعابير التى لاتوافق ثقافتهم

العصرية ، ولا تناسب أمزجتنا المصرية » وهو لذلك يدعو إلى استعمال « الفصحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتعابيرنا القومية » وفى هـذا رد مقنع للذين يتوهمون أن « الأسلوب العربى القوى بليغ في كل زمان ومـكان » متناسين الوسط والبيئة وفعل الزمن !

ولعمرى إن « ضعف الأسلوب » الذى يحاول البعض إلصاقه بأبى شادى لأهون عندى من صفة يخلعها القارىء على العقاد عند مايقرأ قوله .

يلملم حـدباء القدامى كأنها أضالع فى أرماسـها تتهشم

أو قوله :

جناحين لو طار النصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يلملم

فما حدباء القدامى ! وما الاضالع التى تتهشم من ارماسها ! وما الشماريخ ! أمارضوى ! وما يلملم ، وما الذى تركه العقاد أخير الامرىء القيس وزهير واضرابهما ؟!..

***

وترى أن أبا شادى كان يسقط دائماً من حساب دعاة هـذا المذهب ؛ مذهب الفردية فى النقد . . وأن العقاد قد رجحت كفته فى هـذا الميدان ، بل أن أبا شادى نفسه كان يفضل الانسحاب أحياناً ! . .

وخيراً فعل أبو شادى ، فيترك هـذا الميدان للعقاد . . . ولـكن أى ميدان هو . . . ميدان من يريدون من الشاعر أن يكون « صائعاً » أى عاطلا متشرداً لايشغله منصب ذو مسؤولية ! . . مبهما غير واضح منهج التفـكير ! . . مشوش الفـكرة بعيداً عن الترتيب المنطقى المعقول ! . . متظرفاً متـكلفاً متبهرجاً ! . . لايعرف فضيلة أو عفة أو شرفاً ! . . ولا يدعو لتعاون او لاخاء ! . . متورعاً عن نظم شعر التهذيب والشعر الانسانى والأخلاق ! . . كل همه أن يهيج الحس ويرضى العاطفة ، أو بالحرى الحيوانية والشهوة ! . . أى باختصار يكون كبائع « العرقسوس » يلجأ إليه من يطلب مبرداً فقط ! . . يكون آخر من

يدعو إلى التفاؤل أو يحارب الشرور ! . . دائم الصراخ والعويل، لا يكتم عن الناس أشجانه ! . . ثم يجرى أخيراً خلف ذؤبان العرب المتحذلقين فى اللغة والأسلوب ! . . فهل يعرف القارىء شاعراً يجمع هذه الصفات المضحكة ! . .

لقد فاز العقاد على أبى شادى فى مقارنة عرجاء فى حدود المذهب الفردى ، ولكننا لن نترك القارىء قبل أن نشاهدهما معاً فى مقارنة شريفة فى حدود المذهب العام.

— ٤ —

قد لا تتوافر أسباب المقارنة بين أبى شادى والعقاد فكلاهما يمثل مذهباً خاصاً فى شعر التجديد ، ولكننا سنحاول أن نطبق أحكام المذهب النقدى العام. فنقارن بين الموضوعات المشتركة وفى هذا غنم للعقاد كبير . فأغراض شعره قليلة محدودة في حين ينظم أبو شادى فى شتى الأغراض بكثرة بل باسراف !

نظم الشاعران فى الموسيقى فانظر كيف استهل العقاد :

معلمة الانسان ماليس يعلم وقائلة ما لا يبوح به الفم

وتأمل هذا التعريف السطحى الساذج ، ثم انظر الى استهلال أبى شادى.

هنالك مسحور وحياك ساحر وأولع بالشعر الذى فيك شاعر

ثم عد بنا الى العقاد الذى يستتبع :

وكامنة بين النفوس بداهة وما علمت فى مهدها ما التكلم

وعرج بنا على أبى شادى :

وناجاك باسم (الفن) كل معبر عن الفن حيث الفن حولك دائر !

أترانا فى حاجة الى مقارنة ! واصدقنى بربك هل هناك وجه لهذه المقارنة بين أبى شادى الذى يقول :

وملوك إعجاز وآيات قوة من الوعظ لم تبلغ مداها المنابر

و بين العقاد القائل :

تهز بن أعطاف البخيل فيكرم ويصفى إليك المشمخر فيرحم (!)

لو لم يكن لأبى شادى الا البيت القائل :

وطهرت أنغامك (الروح) فاغتدت جمالا رقيقا كل ما فيه طاهر !

لو ازن قصيدة العقاد كلها و رجح عليها ! . .

ونكرر : هل تجوز المقارنة بين العقاد الذى يقول فى « المزمار » !

نفثات المزمار تذكى أوارا رابنى طول برده وسكونه

وبين أبى شادى الذى يقول فى « الارغن »

تئن كالاسد المجروح مازجه حب ، فكان يناجى القلب غضبانا

نصغى اليك بروح كله شغف بما تلقنه وعظا وإيمانا

كأنما هو تنزيل يوزعه عدت الاله على الوافين إحسانا !

* * *

لا . . لن نحاول أن نحلل أو نقارن ، ولكنا سنعرض عليك أبيات الشاعرين في المواضيع المشتركة ، ولا نحسب المقارنة تفتقر بعد ذاك لا يضاح . .

* * *

يقول العقاد فى (مصور) . .

وممثلين على الطروس وربما وجد المثال وربه لا يوجد

ومنها :

فكأنما تلك الطروس وذيلة فيها يطل على الوجود الملحد

ومنها :

صور باخلاد الزمان ترددت كالميت في ذكرى ذويه يردد (!)

ويقول ابو شادى فى (مصور) أيضا :

أنظر تجد عجب الحياة خيالا فى لوحة جعلت رجاءك حالا !

ومنها .

من منظر تجد الطبيعة عنده سكرى تعز بحسنها يتعالى !

و منها (وهو من أبرع الأبيات التصويرية التى رآها الشعر العربى) :

ولربما حاذرت بأس أشعة كادت تخيفك قوة وكمالا !

***

وبعد ، فقد نظم الشاعران فى (الربيع) و (البخيل) و (الحب الأول) و (الخريف) وغيرها فارجع إليها فى مؤلفاتهما ، ثم أصدر حكمك في هذه المقارنة التى سنترك لك الحكم فيها ؛ ولكننا نتقدم إليك راجين أن تبقيه لنفسك لأن فيه ماقد يغضب العقاد وأشياعه فيتطاولون عليك بما لاتحب لنفسك ! ..

ولنترك العقاد يملأ الأرض بأنه شاعر الدنيا والآخرة بديوانه العتيق وأغراض شعره المحصورة ! ..

أما أبو شادى ، الذى أخرج أكثر من عشرة مؤلفات شعرية فياضة ، والذى علم العقاد وأمثاله النظم فى الشعر الانسانى والتهذيبى والقومى والوجدانى والليريكي . . فكفاه أن يتقدم إلى القارىء قائلا فى تواضع وحياء :

مازلت معترفاً بجهلى دائباً فى دفع أخطائى ورفع يقينى

***

ونحب أن يعرف القارىء أخيراً أننا لم نتعمد اختيار أبا شادى والعقاد ، وأن فى إمكانه الاستعاضة عنهما بشاعرين آخرين من شعراء التجديد يمثلان مذهبين مختلفين فى الشعر مثلهما ، ثم يدرسهما على نفس الطريقة وهو سيخرج بلا شك بنفس النتيجة ؟

على محمد البحراوى

نبذ عن الزواج

(١)

سمعت بالامس قصة غريبة هي واحدة وامثالها كثير في هذا البلد . خطب موظف حسن المركز سليل بيت مشهور ابنة من بيت كبير فاستمهلوه واخذوا يستنشقون أخباره : —

— أتعرف فلان ؟

— أهو الذى يشغل وظيفة كذا ؟

— هو نفسه وقد طلب مصاهرتى فقصدتك انت صديق مستشيراً

— مركزه كذا ، مرتبه كذا ، لايشرب ولا يسهر ، لايجلس على القهاوى ، له املاك فى وفى وفى . . . وهو حسن السير والسلوك يتردد مابين مكتبه ومنزله فقط ، وليس له أصدقاء اذ يكاد يكون عديم الاختلاط . ولم يسمع عنه مايشين

هذا كان ملخص الاجابات التى جمعها الوالد وقد رأى بعينيه أن العريس (منكسر) حسن التكوين والشكل لدرجة ما (وافقت العروس على ذلك اثر تطلعها الى شريك حياتها من ثقب المفتاح)

وكتب بعد ذلك الكتاب دون أن يحرك العريس ساكناً ولم يتكرم بزيارة صهره الادفعتين لم يمكث إلا بضع دقائق فى الاولى واعتذر بانه صائم فلم يتغذى فى زيارته الثانية . وكانت هداياه تتتالى مع اخوته وعن طريق التجار رأساً لعروسه

ولكن انقلب الحمل إلي شيء آخر شكس ، قذر ، طماع ، وقح . وتتابعت طلباته واليك بعضها : —

(١) لاأريد أثاثا اعطونى ألفى جنيه وأنا أبرى ذمتكم منه

(٢) أنا أصرف عشرين جنيها فى الشهر وهـذا لايكفي ابنتكم فعليكم أن تدفعوا نيابة عنها عشرين جنيهاً أخرى شهرياً. وأقترح ان تودعوا باسمها (أو باسمي وهو الافضل) مبلغاً في البنك يبلغ ايراده الشهري هذه القيمة . ولا أمانع أن تكتب باسمها عمارة (صغيرة)

(٣) لاأريد « فرحاً » لانني اريد أن أفتح مكتباً فافتحوه لى وبالطبع سأشتغل أنا فيه وتكون أرباحه مشتركة بيني وبين ممولتى

(٤) لى خمسون فداناً بجهة كذاوهى قريبة من أرضكم الفلانية فاعطونى الثلاثة وسبعين فداناً القريبة من أرضى بجهة كذا بدلا عنهم وهـذا من صالح ابنتكم

أما نظام معيشته بعد كتابة العقد فـكانت كالآتى :

(١) طلق الاستحمام ثلاثا لانه خطر على الصحة واستبدله بعملية رش الكولونيا بكميات وافرة على ثيابه

(٢) رغبة فى ابقاء المنديل نظيفاً ، الامر الذى يهمه جدا ، يحتفظ حضرته بقطعة من ثوبه القديم الابيض ليقضى حاجته فيه ، هذا اذا كان فى المكتب أو بين اصحابه ، واما وهو سائر ، فالطريق مباءة صالحة لكل القاذورات

(٣) يأكل بشراهة غير مكترث بالنظافة . وهذا ما حدي به ان يدعى الصيام عند ما دعاه صهره للغذاء (قبل يوم العقد)

(٤) تعود على زج أصبعه فى انفه بين وقت وآخر

(٥) « نكتته بلدية » ومزاجه (متأخر جدا) فمثلا يتنزه (بالقبقاب) ويقضى حاجته فى الحديقة ويجلس فوق حصيرة على البلكون — لان السجاد غير مريح — و يشرب من القلة رأسا

فهذه الاشياء اظهرته بمظهر سيء للغاية امام انسبائه المثقفين وكرهت خطيبته فيه . وبعد المداولة العائلية بادره الوالد قائلا : —

— الزواج قسم ونصيب فارجوك ان تطلق البنت

— اطلقها ! هل تظنونى حماراً تضحك الناس عليه ؟

— لا . . العفو. فقط هناك عذر شرعي
— (مش مهم) يا بك. انا قابل كل عذر
— ولكنى ارجوك كرجل شريف ان تتنازل عن الزواج لانه لا يمكن التفاهم بينك وبين زوجك
— لم لم تقولوا هذا قبل ما صرفت الذى صرفته؟
— نعوضك عنه وندفع لك كل ما تريده على سبيل التعويض
— ابدا لا اتركها ولو شنقونى
— ياسيد، الأبنه لا تريد ان تتزوج منك ويمكنك ان ترسل احدى معارفك لتسألها.
— باكر ترضى . ولكنى الآن اريد ان آخذ زوجتى
— ياسيد هذا مستحيل، ولا يمكن ان يتم . تريد اخذها غصبا؟
— (مش مهم) اريد زوجى والا . . . .

وبعد سبعة أيام اتخذت الاجراءات (الشرعية) لاخضاع المرأة وبالطبع اتخذت اجراءات مخالفة للشرع

مضى على هذه القصة سنتان والمسألة بين «لا اتركها ولو تشنقونى» وبين «لا اتزوجه ولو يميتونى»

فهل اعتذار الزوجة مقبول شرعا او انها (ملكه) بحق المهر؟

افتونا غير مأجورين اثابكم الله

(٢)

فلان افندى ابن المرحوم فلان بك له منزل لا بأس به، خطب ربة الصون والعفاف كريمة فلان بك القاطن فى منزله الملك بحى من اهم أحياء القاهرة. طلب آل العروس منه خمسمائة جنيها كمهر لحسنائهم فلم يطاوعه مركزه الاجتماعى — حضرته كاتب بوزارة . . . يتقاضى عشرة جنيهات كل اول شهر — لاظهار عدم قدرته على دفع هذا المبلغ كما وان ثروته — هو لا يملك غير المنزل السالف الذكر — ابت عليه التظاهر بالفقر، فرهن منزله ودفع

من القيمة المهر وشرع في بناء طابق رابع على منزله دفع جزأ من المصاريف مقدما واما الباقى فعول على دفعه أقساطا متساوية

اتى دور صهره يسأله عن الفرش الذى يريده وكان صديقنا الافندي مثل حضرتى ساكن فى غرفة من سلاملك سرايه العامر فقاد صهره من يده واراه المنزل المكون من اربعة طوابق وقال له ها هو منزل عزوسى الحسناء . فلم يعترض والد الفتاة وبالفعل تم تأثيث البيت على احسن نظام

بزغ فجر اليوم الثانى فتظاهرت والدة العروس بالحزن ، ولما سألها زوج ابنتها عن السبب قالت بعد تمنع انه لم يكن لديها سوى خمسين جنيها لشراء هدية لابنتها تليق به وبمقامه فاقترضت خمسين جنيها اخرى ولكن طلب منها الجواهرجى بالامس فقط ان تسدد ما عليها او تأتى بمن يضمنها على المبلغ .

دفعت المروءة شابنا النبيل الاخلاق فتطوع لتسديد المبلغ ولكنها أقسمت رافضة وبعد جدال طويل قبلت ان يكون الضامن فتنازل بامضاء الورقة التى قدمتها اليه بيد مرتعشة — من الخجل بالطبع — وردها اليها وهو يشعر بانه قام حيالها بمعروف سوف تجازيه عليه

حل اول الشهر ولم ينقض منه يومان اخران حتى استلم صديقنا الافندى انذارا من محل . . . للموبليات يطالبه فيه بتسديد القسط الاول وبالاستفهام علم ان عائلة البك نسيبة اشترت اثاثا من المحل بما يقرب من الالفى جنيه تسدد على اشهر بنسبة خمسين جنيها فى الشهر وان حضرته قد ضمن الدفع

هجم العريس كالمجنون على خزانة ثياب الزوجة ليأخذ مصاغها ويسدد من ثمنه الاقساط قدر الامكان فلم يجد فتظاهر بالجلد وسأل عروسه اين مصاغها فعلم انه رد للذين اقرضوها اياه وذلك ثانى يوم الدخلة وبالطبع لم يتمالك الشاب طبعه فشتم وضرب وعمل كل ما في وسعه ان يفعل فتركت زوجه المنزل غاضبة « لسوء معاملته لها » وارسل والدها من اخذ العفش فى غياب العريس وبيع بالفعل بالمزاد واستحوذ والد العروس على مال ابنته بالحلال . فلاجل حل هذه المسألة نتساءل

١ . كيف يطلق امرأته وهى تدعى انها حامل منه . هذا اذا تغاضينا عن المؤخر وقدره خمسمائة جنيه

٢ . كيف يردها اليه وهم يطلبون لها نفقة اقامة بمعدل جنيهين يوميا — وكل حسب مقامه — ما دامت بعيدة عنه

٣ — وما الذى يمكن ان يفعله وعليه اقساط محل الاثاث واقساط عمارة المنزل ؟

هل من مرشد ؟ هل من فتوى ؟

(٣)

فلان باشا توفي عن ابنتيه بعد ان اوقف ايراد املاكه المتسعة عليهما ما دامتا غير متزوجتين . وقد تفضلت الشريعة الغراء فى شخص ممثلها بقبول هذه الرهبانية القسرية وكانت اكبر الابنتين فى سن العشرين وصغراهما فى الثامنة عشر فما الذى ينتظرمنها أن تفعلا ؟

(١) اذا مالت احداهما لتلبية نداء الطبيعة

(٢) اذا طلقت بعد ان تزوجت

الواقع ان حضرتاهما ارتأتا وجوب الجمع بين الحق الطبيعي والحق المادي فهما الآن تمرحان وسط اللذة وبين الذهب فالباشا انف من رؤية ابنتيه فى حوزة رجلين — وهو ينظر اليهما من قبره — فنزلتا على رأيه ولكنهما اصبحتا ملكا لكل رجل

(٤)

بك محترم متزوج من امرأتين ماتت الأولي وتركت له ابنة وعدة صبيان واما الاخرى فلم تلد . ولما ماتت الأولى ابى عليه دينه إلا أن يقسم نفسه بذمة بين البيتين أسبوع هنا وأسبوع هناك

وكان الخطاب يتسابقون لنيل يد ابنته الجميلة فكان يردهم عنها لانهم كبار الانوف أو طويلي الآذان أو ليس لهم ايراد كاف أو ليس لهم مرتب

ثابت او لانهم قصار او . او . او . ذلك لانه كان يأنف من تصور ابنته ملكا لرجل وكان يتركها مدة أسبوع ليقوم بواجب بيته الآخر ولما يأتي دور بيتها يلازمها أسبوعاً آخر . أما إخوتها فلم يكونوا يعرفون مكان المنزل الاقرب الفجر

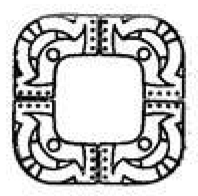
قاربت الابنة سن الخامسة والثلاثين ولا أعرف بالضبط ما عولت على عمله ولكني كنت أراها ملتفة بملاءة بعد المغرب كل يوم لترجع قريباً من منتصف الليل إلى منزلها ولم تكن تفعل ذلك دائماً بل لمدة اسبوع فقط تستكن بعده في المنزل كالملائكة الأطهار وذلك لمدة أسبوع آخر وهكذا دواليك

يا للطهر ويا للعفاف

ح . م .







أدب وحكمة

الرجل والمرأة

أو

نشأة الحب

أسطورة إغريقية قديمة

خلق الانسان منذ البداية على هيئة غريبة ، فكان جسمه مستديراً . وكان ذا أرجل أربع وأيد كذلك . أما رأسه فكانت تحمل وجهين متشابهين علي عنق مستدير . كل منهما مضاد للآخر فى اتجاهه

أما فى مشيته فكان يستطيع السير الى الخلف كما يستطيعه الى الامام حسبما يشاء . فاذا أراد الاسراع استلقى على الارض وتدحرج ضارباً الهواء بأرجله لا طأً الارض حتى يصل الى غايته

وكانت عظمة قوته وقلبه ، وهمجية أعماله مثاراً لمخاوف الآلهة وخشيتهم أن يتمرد عليهم ففكروا فى أن يهدموه ، ولكن ممن تقدم إليهم الضحايا ؟ انهم يخشون هلاك نسله حرصاً على ضحاياه ...

وبعد أن أعيتهم الحيلة فكر الآله زفس (Zeus) وقال :

« ليس من الحكمة أن نهلك البشر فنخسر ضحاياه التى تقدم منه الينا ولكن ما العمل مع هذا الانسان الجبار العنيد ؟ لقد اهتديت الى انتقام يهدم جبروته ، ويقلل من قوته ، ويخضد شوكة تمرده . وهو أن نشطر جسمه الى جسمين ونهب كل جسم يدين اثنتين ، ونقيمه على رجلين ، فاذا أبى إلا الطغيان جعلناه إلا يمشى إلا على قدم واحدة ، ولا يدفع عن نفسه إلا بيد واحدة »

وكان كما أرادت الآلهة ، وفصل الانسان الى نوعيه

وبقى كل شطر منهما منذ الازل يبحث عن شطره الثانى ، فاذا ما التقيا امتزجا سويا .

وفى هذه الهوة السحيقة من تلك الأزمنة الغابرة ، نشأ الحب وتولدت العاطفة

ودون تلك الحقب الخوالى والروحان يجدان فى البحث عن السعاده

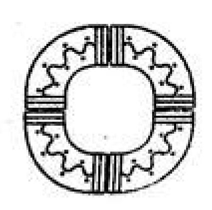
وما سعادتهما الا اندماج الروح الناقص فى جزئه المكمل له ! !

فليبحث الرجل عن المرأة ، ولتبحث هى عنه .

تلك مشيئة الآلهة ! !

ومن الخطأ أن نفصل بين القلبين ، ومن العبث أن نحول بين الروحين أن يمتزجا ويعودا الى طبيعتهما .





شكوى مدرس

مسكين هذا الصبي خريج المعلمين وكيف لا يكون مسكينا وقد حكم عليه القدر أن يدرس « لاساتذة » المدارس الاولية . رأيته مقطب الوجه عابسا وبعد ارهاقه بالاسئلة قال

— كيف لا أزهد في الحياة وأنا مكلف بتثقيف رهط من العجماوات الغبية

— أتدرس لعجماوات !؟!

— أقول عجماوات غبية ... لا تنسى غبيه

— يكفى أن تقول عجماوات اليس كذلك ؟

— لا ... أبداً ... الحمار يعرف هس وحا ... ولكن النوع الذي سخرت لتعليمه لا يعرف شيئاً من ذلك .

— هون عليك يظهر لى أنك تقوم بعملية اختبار نفسى اليس كذلك ؟ وهل تفعل ذلك فى حديقة الحيوانات أم تجري اختباراتك على حيوانات مستأنسة خصصت للتجارب

— تجارب !؟ هذه سوائم تلبس العمم والقفاطين

— مشايخ الكتاتيب ؟!! ياسيد . لك ان تختار لهم اسما كما تريد

— دميون !!!

— لا . لا . اختر أى اسم آخر

— ولكن صرح أكثر ، لافهمك ، هل عاكسوك؟

— عاكسونى ... كنت أعنى ذلك

— بالله اسرد لي قصتك

— ليس ما سأقوله لك قصة بل وقائع

لواقعة الاولى

كنت أدرس لفصل راقى الكيمياء فأخذت أشرح الاوكسجين وكم دهشت

عند ما لاحظت أن كل أفراد الفصل يعيرون كلامى انتباها زائداً ولا يخفاك انى كنت أعلم فى المدارس الابتدائية فلما نقلت الى مدرسة المعلمين هذه سمعت شيئاً كثيراً عن هذه العمائم الصغيرة فتوجست خفية لضياع مجهودى . ولكن التفاتهم لشرحى بأدب أزال ما علق بذهني من الاقوال التى سمعتها وسررت جدا للاهتمام الذى أبدوه . انهيت الدرس قبل انتهاء الميعاد ببضع دقائق فسألت عما اذا كان هناك سائل . فرفع أحد التلامذة أصبعه ثم وقف وقال بالرطانة الفصحي ما يأتى:

« أحيي فيك يا أستاذنا ، باسم اخوانى ، العلم البالغ والمعرفة الجمة . حقيقة كان شرحك وافياً أتم وفاء غير أنك قد نسيت أمراً مهما جداً كان يجب أن يكون غاية البحث »

(وتوقف عن الكلام منتظراً أمرى له بتبيين ما أغفلته . فلم أجسر على طلب ذلك منه فوراً اذ وجف قلبى واصطكت ركبتاى وناجيت نفسى قائلا لا شك أن هؤلاء التلامذة نجباء ينهمكون في الدرس والا كيف أتيح لاحدهم أن يمسك علي وأنا معلم غلطة عظيمة كهذه فتمالكت نفسى وقلت له بصوت خافت « تفضل قل ما الذى نسيته فانا لا أذكر أننى تركت شيئاً مهما كما تدعى » فظهر الاندهاش على وجهه هو ورفاقه ثم قال بحدة

— انك لم تقل اذا كان الاوكسجين هذا طاهراً أم نجساً

الواقعة الثانية

أفهمت تلامذة فرقة أخري أني ، رغبة فى توفير الوقت ، لن أملى عليهم ملخص الدرس بل سأكتبه على ورق يوزع عليهم ، وفعلا وزعت عليهم الورق قبل يوم الدرس وحثثتهم على تفهم محتوياته ليتابعوننى فى الشرح فردوا بالايجاب ، ولما دخلت لالقى عليهم الدرس وبدأت أتكلم قال أحدهم

— يظهر حضرتك ولا مؤاخذة غشيم شويه

— لماذا ؟ !

— العادة ان المعلمين يملون الملخص في الكراسات اولا ثم يشرحون
— ألم تقرأ ماأعطيته لك بالامس
— نعم وهو حسن جداً
— هذا هو الملخص، الم اقل لك ذلك ؟
— ملخص ! ! وكيف يمكننا ان نحفظه وهو غير مكتوب بالحبر الأسود.

الواقعة الثالثة

كنت أدرس لتلامذة جغرافيا واذا بواحد منهم يقف ويستأذن كي يخلع عمامته
— لماذا تريد ان تخلعها
— لافهم الدرس يا افندى
— ! ! ؟
— لامؤاخذة فانى لما أكون لابساً « اللاسة » فى المنزل افهم أكثر مما لو كنت البس العمامة

الواقعة الرابعة

أعطيت للتلامذة مسألة حساب لحلها ومررت عليهم، ولما اتممت التصحيح سألت هل هناك من يريد فى أن احلها فاجاب الكل بنعم فاستشطت غضباً، وقلت لاقربهم منى وقد نجح فى حلها حلا صحيحاً ظنا منى بأنه يهزأ بى.
— مسألتك صح فكيف تطلب منى ان أحلها
— حتى أفهمها
— ولكنك فاهمها تماماً والا كيف حللتها
— هذا الحل في الدفتر يا افندى ، واما حل السبورة فلم افهمه بعد
— هل تظن ان هذا أمر محتمل، اخرج من هنا
— اخرج ! ومالذى فعلته حتى تطردنى
— لانك فاهم وتريد أن تضيع الوقت

— فاهم الذي فى الدفتر واما الذى فى السبوره فلم أفهمه

— كلاهما واحد ، أليس لك عقل

— واحد كيف يكون واحداً (ثم نظر إلى رفاقه مستشهداً وقال) الا يقول المشايخ لنا دائماً الذى لايفهم من الدفتر يفهم من السبورة ، لم يسعنى الا الضحك فقلت لصديقى

— حقيقة انك خفيف الروح وتعرف كيف تلفق القصص الفكهة

— قصص فكهة ؟ تأكد ان هذا بعض ماخطر ببالي الآن من كثير مثله

— ولكن إلى اى شىء تعزو ذلك ؟

— حقيقة لا اعرف ولكن الغريب ان الطلبة ينهون دروسهم مع امثالهم من طلبة المدارس الابتدائية ولكن لا أثر لهذه الفقهنة بين الاخيرين

— يمكن أن يكون كل طلبتك من أولاد الفقهاء ، وأما أولئك

— لا . لا فبعض آباء هؤلاء وبعض آباء الآخرين من المعممين ولكن لا أثر للفقهنة بين تلامذة المدارس الابتدائية وهي شاملة بين هؤلاء ولسوء الحظ لم أقف على السبب

— السبب بسيط جداً جداً

— ما هو ؟ بالله اخبرنى

— العمامة . انت مقتنع الآن بان ما فعله مصطفى كمال بخصوص العمامة كان فى محله ؟

ابو العينين



ابن الانسان

حرية الفكر هي التى أسلمت لأميل لودفيج عنان أفكاره فأكب عليها يشدها ويطلقها غير مكترث لما عساه يصادفه في طريقه، أو عابىء بما يصيبه. وحرية الرأى هى التى دفعته ليلقى بثمار تفكيره ونتاج بحثه بين يدى المجتمع ليشهد له أو عليه.

وكان شأن هذه الحرية الشاملة مع الاستاذ صاحب العصور كما كان مع الاستاذ الاديب لودفيج فنقل لنا صوراً من كتابه. ولولا ما أحسسته من ميل سفينة حضرة الناقل الى اتجاه معين لما تأخرت عن ترديد الجملة الشائعة — ناقل الكفر ليس بكافر.

هذه الحرية نفسها هى التى دفعتنى للرد على ما جاء فى صفحات لودفيج عن قلم أستاذنا الفاضل. وسأجتهد فى ردى هذا أن أكون بعيداً عن الاستعانة بالبراهين الدينية. التى يضعها الكاتبان مع الاساطير والقصص الوهمية. اللهم إلا في حالة مغالطة المؤلف فى تفسير آية أو ادعائه بكذبها.

وإذ كتب المؤلف يبرهن عن (عيسي) بأنه أنبغ أبطال الانسانية وسار معه فى رأيه حضرة المفكر الناقل، فان كاتب هذه السطور سيسعى فى رده للبرهنة على أنه لم يكن (عيسى) بل المسيح ابن الله أو الله نفسه. ولو أننى أعد ردى هذا تطفلا على مائدة فئة كانت هى الأجدر بالرد، غير أنها لاهية الآن عن القيام بأوجب واجبات وظيفتها. لا يعنيها إلا الدفاع عن حقوقها. حقوقها المادية طبعاً

لا أدرى من أين أتى لودفيج بوصف بطله هذا. وأنى له بترجمة حياته و بينهما ما يقرب من ألفي عام. وان كان اللادينيون لا يعتقدون بتراجم معاصرى المسيح فكيف يصدقون ترجمة شخص يعاصرهم هم. ومن أين جاء المؤلف بتعليلاته

الغريبة ووصفه البرنامج اليومى لحركات (عيسي) وسكناته واضطرابه وتأملاته . وهو يحاول كما يقول الناقل أن يتغلغل فى روح العصر الذى عاش فيه بطله . ومتى كانت التخيلات الغريبة (المخالفه للواقع) صورة لحقيقة وقعت أو جزء منها . قال المؤلف — « وخرج (عيسي) من النهر بعد أن تطهر من الخطايا التى لم يرتكبها قط » . كذا ! !

قال السيد المسيح أنى لم آت لأنقض الناموس بل لأكمله . فبصفته انساناً وحاملا لخطايا البشر كان عليه أن يعامل بنفس الناموس الذى يعامل به أى انسان آخر وإلا كان معتديا على الناموس ناقضاً له وهو يقول أنه أتى ليكمله . ألم تر كيف يفسر هو ذلك فى رده على يوحنا (متى ٣ : ١٤ ـ ١٦) « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه . ولكن يوحنا منعه قائلا، أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى . فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . . . . »

و إذا لم يكن معنى الجملة الأخيرة هو ذلك فماذا يكون معناها .

وذكر المؤلف أن أحد البشيرين أهمل ذكر أربعة ملوك بين داود و يوسف النجار وذلك ليوفق بين نبوات أنبياء بنى اسرائيل وحقيقة (عيسى) . ولا صحة لاعتراض المؤلف هذا على الاطلاق . ذلك أنه جاء في إنجيل متى الاصحاح الأول أن يوشيا ولد يكنيا . وهو لم يكن أباه مباشرة إذ كان جده (انظر سفر الأيام ٣ : ١٥ ـ ١٦) وانظر الأصل اليونانى فى انجيل متى وترجمته هو : يوشيا ولد يهويا قيم (يواقيم) و يهوياقيم ولد يكنيا . غير أن المترجمين اختصروها بحذف يواقيم ومما يثبت ذلك أنك إذا حسبت أجيال المواليد فى متى وجدت أن الجيل الأول عدده ١٤ وينتهى بداود . والجيل الثانى ١٤ و ينتهى بيواقيم . والجيل الثالث ١٤ وينتهى بالمسيح . وقد فض المترجم لذلك فقال من ابراهيم الى داود ١٤ جيلا . ومن داود إلى سبى بابل (ولم يقل إلى يكنيا إذ أنه الى يواقيم الذى لم يسبق ذكره)

١٤ جيلا.ومن سبى بابل الى المسيح ١٤ جيلا ، هذا واحد من الملوك الاربعة المذكورين .

كذلك ورد فى إنجيل متى (١ : ٨) أن يورام ولد عزيا . مع أن عزيا كما جاء في التوراة هو ابن أخزيا بن يواش بن أمصيا . وقد حذف البشير أخزيا ويواش وأمصيا،لأن يورام خلف أخزيا من عائلة آخاب الوثنية (وكانت زوجة آخاب ايزابل) فحذف أسماء هؤلاء الثلاثة كان عقاباً لبيت يورام المذنب الى الجيل الرابع لأن الله تعالى قال أفتقد ذنوب الآباء من الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى . ولو لم يفعل متى ذلك لما كان كلامه بالهام الروح القدس .

مما سبق يفهم لماذا حذف متى البشير ذكر هؤلاء الاربعة .

أما قول حضرة الناقل بأن هيروديا لم تكن زوجة فيلبس بل بوطيوس فغير حقيقي — قال يوسيفوس المؤرخ الشهير أنه لما كان هيرودس انتيباس مسافراً الى رومة عرج على بيت أخيه هيرودس فيلبس (أو فيلبس فقط كما اختصره البشير منعا للالتباس اذ ان اسمه الحقيقي هو فيلبس أما هيرودس فاسم العائلة) . وعشق امرأته واتفق معها على أن يطلق هو زوجته ابنة (أرنياس) واتفقت هى على أن تطلق زوجها وتم لهما ذلك . (أما أولاد هيرودس الكبير فهم . هيرودس اغريباس . وهيرودس انتيباس . وهيرودس فيلبس . يلاحظ ذكر اسم الوالد فى الأول — ولم يذكر بوطيوس هذا بانه أخوهم —)

أما من حيث قوله إن (عيسى) كان ابنا ليوسف فقد ذكرت ابوة يوسف المسيح في الانجيل لما يأتى : —

إنه لما كانت العذراء في عصمة رجل هو خطيبها يوسف ووجدت حبلى من الروح القدس فقد كان على يوسف (بعد ان ظهر له الملاك واعلم بطهارتها) ان يعلن بانه زوجها وان لم يكن قد فعل ذلك فقد كان جزاؤها الرجم حسب شريعة موسى .

تأمل اعتراض السيد المسيح عندما كان يبشر في الهيكل وهو لا يزال طفلا على علاقته بيوسف كأبن فى الآية الآتية :

(لوقا ٢ ـ ٤٥ الى ٤٩) « فلما أبصراه اندهشا وقالت له أمه يابنى لماذا فعلت بنا هكذا . هوذا أبوك وانا كنا نطلبك معذبين . فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني . الم تعلما انه ينبغي ان اكون في ما لأبي . »

الى هنـا اكتفى بالرد على اهم ما جاء بالعصور الغراء . نقـلا عن كتاب لودفيج وأختتم بذكر بعض البراهين المؤيدة لصحة الوحى فى الكتاب المقدس وهى مستندة على حقائق تاريخية ونتائج عقلية صادرة عن بحث حر عميق

نجـد ان الآثار القديمة وعلى الاخص المصرية منها تؤيد تمام التأييد القصص المذكورة في التوراة . فقصة ابراهيم حين ذهابه الى مصر مع امرأته وانكاره بانها زوجته نجد مايشبهها فى قصة الاخوين المذكورة في صحيفة البردى المنسوبة الى در بينى فى المتحف البريطانى . كما نجد شبها لها في صحيفة البردى التى ترجمها المسيو كاباس . وكذلك قصة يوسف المذكور جـزء منها أيضا فى صحيفة البردى السابقة (المنسوبة الى در بينى) ونجد ذكر البقرات السبع التى رآها فرعون فى الحلم في الفصل الثامن والاربعين من كتاب الموتى . وجاء فيه (تك ٤١ — ١٤) ان يوسف حلق و بدل ثيابه قبل دخوله على فرعون وهذا أمر أثبته التاريخ والآثار. فان المصريين ما كانوا يتركون شعرهم يطول الا فى اوقات المناحات. وكان المصريون يرسمون ارتياد الناس باللحى . وكان الكهنة يحلقون كل الجسد فى كل ثلاثة ايام . اما اليهود وغيرهم من الامم الاجنبية فكانوا يسرون بتطويل اللحى وفى دور الآثار كثير من المواسى المصرية .

ونجد قصة يوسف (اسمه بالهيروغليفية صفنات فعنيح) ترددها آثار الفراعنة وتتفق مع التوراة فى كثير من تفاصيلها

والفقرة الآتية وبها ذكر سنين الشبع وسنين الجوع وجدت مكتوبة فى ضريح

قديم عند ايليثيا والكتابة كأكثر كتابات الضرائح المصرية مملوءة بمدح وتمجيد الذت

« الرئيس باباعلى مائدة الامراء قام ايضا يتكلم هكذا — انا احببت ابى . اكرمت امى . اخوتى واخوانى احبونى . خرجت من باب بيتى بقلب طيب . وقفت هناك بيد منعشة . كانت المعدات التى جمعت ليوم الوليمة جزيلة . قلبى كان لطيفا خالصا من الغضب، والالهمة اسبغت على ثروة وافرة، والمدينة رغبت لى الصحة وحياة مملوءة بالهناء . عاقبت فاعلى الشر . اولادى الذين وقفوا مقابلى، في البلد مدة الايام التى اكملتها كانوا سنين بين كبير وصغير، احضر لهم ثلاث فرشات وكراسى وموائد كعددهم . اتلفوا ١٢٠ آنية من الذرة، وصليب ثلاث بقرات . و ٥٢ عنزه ، وتسعة حمارات . ومن البلسم معينا ومن الزيت جرتين . ربما يظهر كلامى هزلا للبعض ولكنى استشهد الاله منث ان كلامى حق وقد هيأت كل هذا في بيتى واعطيت زبده فى بيت المؤونة وبيرة فى قبر المؤونة عددا اكثر من الكفاية من اكيال الهينى . وجمعت الحصاد اذ كنت خليلا لاله الحصاد — وكنت مراقبا فى وقت الزرع . والان لما قام الجوع واستمرسنينا كثيرة اخرجت قمحاً لكل جائع . »

وقد قال برغش بك ان سنين الجوع الكثيرة تطابق السبع سنين الجوع فى ايام فرعون المعاصر ليوسف .

ونجد فى مخاطبة يوسف لاخوته فى التوراة (تك ٤٢ — ١٦) « وحياة فرعون انكم لجواسيس » كما اكتشف على الآثار ان هذا القسم لم يرخص لأحد استعماله الا لذوى الرتب العالية

وجاء فى التوراة انه لما فسر يوسف الحلم لفرعون كافأه فجعله سيدا على كل مصر وثانى الملك واجزل له العطايا الثمينة ووهب له خاتمه الذى كان في يده « علامة السلطة الملكية » ثم البسه ثياب البوصى (وكانت من ملبوسات الكهنة)

ووضع طوق ذهب فى عنقه واركبه في مركبته الثانية كملك على البلاد ومنح طوق الذهب للحاكم الرقيع كان من عوائد ملوك مصر، فان أحمس رئيس الملاحين وصار ملكا بعد ذلك لما قطع رأس قتيل من الاعداء وأتى بها الى الملك منحه الملك طوق ذهب وأتى فى واقعة اخرى مثل هذا العمل ،فشكره الملك واعطاه طوقا آخر من الذهب . كذلك فعلم من التوراة ان يوسف غير ملابس اخوته ومنح لهم ولأبيه أرض جاسان ليستوطنوابها وهذا مطابق لعوائد المصريين التى يعرفها يوسف من ان الرعاة كانوا نجسين عندهم .

ولو ذكرت شيئاً من الاناشيد والقصص و بعض فقرات كتاب الموتى وغيرها مما هو ثابت على الآثار واوراق البردى التى تؤيد التوراة في نواحى كثيرة تشغل هذا عددا وافرا من صفحات هذه المجلة فيظهر مما سبق ان التوراة يؤيدها تاييدا عظيما ما كتبه القدماء على آثارهم . مع العلم بانهم كانوا يعتنقون دينا غير دين الياهوا بل كانوا اعداء لهم يسخرونهم فى تشييد معابدهم ويسومونهم الظلم، غيران كتاباتهم لم تغفل سرد اخبارهم ووقائعهم . ذلك لانها كانت حقائق واقعية لاغرض لهم من تدوينها الا ذكرا للحقائق وتدوينا لاخبار وقعت كما دونوا اخبارهم وطرق معيشتهم وعاداتهم والحوادث التى حدثت فى ايامهم فاذا كان ماله علاقة بالمصريين فى التوراة صحيحا فما الذى يمنع ان يكون كذلك ما ليس له بهم علاقة

اذا عرفنا ذلك كان لا بد ان نحكم بصحة ما ذكر قبل المسيح بمئات وألوف من السنين تنبؤا خصوصا بعد ان تحققت هذه النبوات بالحرف الواحد ،نذكر منها على سبيل الاستدلال هذه السطور (اشعياء ٧ . ١٤) ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العزراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه « عمانوئيل » . (وأشعياء ٩ : ٦ — ٧) « لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ،ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس السلام » (مزامير ٢٢ : ١ — ١٧) نذكر منه فقرتين « الهى الهى لماذا تركتنى . . . .

ثقبوا يدى ورجلى . أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون

ومن الدلائل العقلية الكثيرة على ان الانجيل لم يكن من ابتكارات البشيريين وتلفيقاتهم .

١ — لما بعث يوحنا المعمدان رسوليه ليسألاه (المسيح) عما اذا كان هو المسيح المنتظر اجابهم قائلا « اذهبا » واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمى يبصرون والعرج يمشون . والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » وهذه العبارة من الاهمية بمكان لانه لا يعقل ان يبتدع البشيرون حادثة يشم منها ان رسول المسيح الخاص تزعزع ايمانه فيه (حسب ظاهر الآية) ثم انه ليس من السهل ان يفصل السؤال عن جوابه وهو فى الحقيقة اقرار أكيد عن المسيح يثبت اجراءه المعجزات .

٢ — توبيخ المسيح لكورزين والمدن الاخرى كصور وصيدا لانه صنع فيها اكثر قواته ولم تتب. ومما يؤيد صدق هذه العبارة (الواردة في متى ١١ : ٢١) ان الانجيل لم يأت على ذكر معجزة واحدة صنعت فى كورزين ولو كان البشيرون أو غيرهم هم الذين اخترعوا هذا القول لجؤوا الى ذكر بعض المعجزات تسويغا لدعواهم. اما وهى لم تكن بدعة من عندياتهم والمسيح نفسه هو الذى نطق بهذه الكلمات فلا يعقل ان يوبخ هذه المدن لعدم توبتها مالم يكن قد صنع فيها كثيرا من المعجزات

٣ — المعجزات المنسوبة الى المسيح لا تليق الا به . لانها كانت لفائدة الناس وليس لاذيتهم، ولو قارناها بالمعجزات الوهمية المنسوبة اليه في الاسفار الابوكريفية (غير القانونية) لوجدنا بينها فرقا عظيما . لان الاخيرة صبيانية وسخيفة. فقد جاء بها مثلا « ان المسيح وهو طفل كان يأمر الطيور المصنوعة من الطين فتطير وكان يحوك الصبيان الذين يأبون اللعب معه الى جداء من الماعز — ولعن مرة ولدا كان يجرى وراءه فسقط ومات — الخ .

ومما يستحق الذكر ان المسيح لم يعمل معجزة واحدة لنفع نفسه وقد أبى ذلك عند ما طلب منه (متى ٤ : ٣ و ٢٧ : ٤٠) ولو كانت البشائر مجرد كتب وهمية لما كان الحال هكذا .

٤ — اكثر المعجزات كانت للشفاء اى من قبيل اعادة الشيء الى حالته الطبيعية، ولم يكن الغرض منها عمل شيء مخالف للطبيعة كاعطاء الانسان عينه ثالثة وكلا الامرين يبرهنان على قوة خارقة ولكن اولهما اكثر ملاءمة لآله الطبيعة

٥ — اتفاق البشيرين فى القول بان المسيح صنع معجزاته من تلقاء نفسه وبالسلطة الآلهية المطلقة كقوله « ايها الشاب لك اقول قم » بخلاف انبياء العهد القديم الذين عملوا معجزاتهم بعد ان طلبوا من الله . ولو كان البشيرون هم الذين اخترعوا هذه المعجزات لاحكموا وجه الشبه بينها وبين معجزات العهد القديم

٦ — اقامته ابنة يايرز من الاموات ، (مرقس ٥ : ٣٩) نعم في وسع كل انسان يروم رفع قدر المسيح ان يخترع هذه المعجزة أو ما يشبهها ولكن هل يعقل ان يدون الكاتب هذه الكلمات « لم تمت الصبية لكنها نائمة » ثم ان المناقشات التى دارت حول عمل المعجزات يوم السبت لها لهجة صحيحة ولا يمكن أن نقول عنها انها مبتدعة . بل كيف كانت تدور هذه المناقشات مع حالة عدم وجود معجزات بالمرة .

ولو شاء القارىء لا ثبت له بالكثير من الادلة التى تبين تماما ان البشيرين لم يخترعوا ولم يلفقوا (أو يوفقوا بين اقوالهم المتضاربة المضطربة كما يقول حضرة المؤلف الاديب) ولكنها خطرات الوحى جاشت بها نفوسهم وفاضت فجرت على قراطيسهم نورا وسلاما.

جورجي اسكندر

العصور — نشرنا هذه المقالة لئلا نتهم على الاقل بأننا نفر من المصاعب التى تعترض ابحاثنا في العصور . على اننا قبل أن ندلى برأينا نود أن نوجه نظر الكاتب الأديب الي أشياء خفيت عليه وكان من الواجب أن يلاحظها ليكون رده على الأقل متفقا والخطة التى اتبعها لرد نيج والتى اضطررنا الى

اتباعها قسراً عنا نزولا على حكم المراجعة الادبية لكتاب قرأناه .

اولا — يجب ان نلاحظ أن مراجعة كتاب وتلخيص زبدة الرأى فيه يجب أن يكون فيها بعض الحرية حتى لا يتقيد الكاتب برأى واحد . بل للكاتب أن يزيد الى البراهين التى تؤيد فكرة الكاتب اذا كان موافقا له براهين يكون قد استنتجها أو وقع عليها في كتب أخرى ، وان يذكر كذلك البراهين التى قد تنقض رأى الكاتب اذا كان غير متفق وأياه فى الرأى . وهذا ما اتبعناه بالفعل في مراجعة كتاب لودفيج . فالقول بأن أحد البشيريين مثلا قد اهمل ذكر أربعة ملوك ليصل نسب عيسى بداوود مسألة لم يعرض لها لود فيج بل عرض لها المؤلف الكبير « فورشوور» ـ Waurschauer ـ الألمانى فى كتاب « تاريخ المسيح » واظن ان رينان عرض لها أيضا بقدر ما استطيع ان اذكر من كتاب قرأته منذ سنين عديدة .

ثانيا — أن لودفيج قد ذكر أنه انما يتكلم في عيسى بن مريم لا في المسيح والفرق كبير بين الامرين كما هو ظاهر لكل من اطلع على تاريخ المسيح وعلى تاريخ النصرانية .

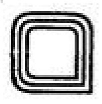
ثالثا — ان اكثر التعليلات التى ذهب اليها الكاتب انما هى التعليلات التى ذهب اليها زعماء النصرانية ، لا كبار المؤرخين ، فهو اذن يتكلم من وجهة النظر اللاهوتى لا من وجهة النظر التاريخى العلمي

رابعا — ان قراءة التواريخ القديمة التى كتبت فى عهد المسيح او قبله او بعده بقليل تمكننا ولا شك من معرفة المحيط الذي احاط المسيح في نشأته ومنه نستطيع ان نصور ذلك المحيط صورة ان لم تكن هي الحقيقة بذاتها فانها تكون قريبة من الحقيقة . على انك تستطيع أن تدرك حقيقة ذلك اذا قرأت كتاب الاستاذ « جابرت موري » الانجليزي المعروف باسم « الحياة الاجتماعية في اغريقية القديمة » . فانك تدرك اذا قرأت هذا الكتاب كيف كانت الحياة الاجتماعية فى تلك البلاد على بعد تاريخها عنا ، بل تقف على حياتهم اليومية ونظامات الاسرة والحياة العامة وقوفا ينقلك من عصرك الى ذلك العصر . فاذا كان هذا مستطاع في حياة الاغريق القديمة افلا يكون

اكثر سهولة فى زمان أقرب الينا من زمانهم بقدر ستة قرون من الزمان
بل فى زمان كانت كفاءة القياس التاريخى قد اصبحت اكثر اكتمالا فى
العقل البشرى وكانت العناية فيه بتدوين الآثار اكبر ؟

هذا من ناحية . اما ان يحاول الكاتب أن يثبت عقلا او نقلا أن
المسيح هو ابن الله او الله نفسه قد تقمص جسدا بشريا فذلك مالا يمكن
أن نوافقه عليه لان العلم ينفيه نفيا باتا صريحا . بل ان الفلسفة ، وهى فى
مجال التأمل لا في مجال اليقين ، لا تقبله . اذن فالمسألة التي تكلم فيها الأديب مسألة
دينية لاهوتية صرفة لا شأن لنا بها في بحث تاريخى قوامه الوقائع التاريخية
وسنادته الاستنتاج العقلى القائم على الأساليب العلمية الحديثة .





من تاريخ الحركات الفكرية

فى الاسلام

لبندلى جوزى

اصدر الدكتور بندلى جوزى الاستاذ في جامعة باكو الجزء الاول من « تاريخ الحركات الاجتماعية » تحت العنوان المبين اعلاه . وموضوع كتابه ان الاسلام حركة اقتصادية اجتماعية وان هناك اسباب لظهوره فى مكة لصلاح بيئتها دون غيرها من القرى العربيه. فقد كانت محطة للقبائل ويتبع هذا انها كانت مركزا للتجارة كذلك كانت مركزا دينيا مهما لوجود الكعبة فيها وكان يجتمع بالقرب منها سوق عكاظ وغيره، وهذا ما حدا بالبعض من اهلها لامتهان التجارة فاستبدوا ما شاء لهم بهمبالعملاء الامر الذى أفضى الى أثراء الخاصة واملاق العامة . وهنا تجلت روح الوسط الذي يعيش فيه الدكتور فامعن فى الاغراق في وصف غنى الخاصة لدرجة تصور معها امتلاك البعض منهم لمئات الالوف بل الملايين (من الجنيهات على ما اظن) وتخيل لهم المصارف وانهم كانوا يصدرون من البضائع اكثر مما كانوا يستوردون. هذا فى حين ان اهم صادراتهم لم تكن تزيد عن التمر والجلد والزبيب ومدينتهم « واد غير ذى زرع » . وكذلك غالى فى مسغبة الفقراء ما شاء تصوره واستند على بضع آيات اتخذها تكأة للتعليم ولست اعرف بالضبط حكم القراء على اذا قلت ان وجود جمعية منع الرقيق الابيض اثبات على ان المصريين يبيعون بناتهم وان وجود مادة في قانون العقوبات تنص على قتل القاتل اشارة الى ان المصريين يذبحون بعضهم فى رابعة النهار وان النص على عقاب من يأخذ فائدة تزيد عن ٩ ٪ يفيد ان المصريين مرهقون بضغط المموليں .

يقول حضرته ان الضيق قد ادى الى ان تكون حياة الصعاليك —

وكان عددهم عظيم جدا — عرضة دائما للاخطار وسلسلة يأس وعذاب الامر الذى دعاهم الى الثورة اكثر من مرة. وكان شعراء الباديه لسان حال الامةالمعبرون عن شعورها واتى ببيت لابن المغيرة واخر للاعشى فى حض الاغنياء على مساعدةالفقراء. وبالقياس على قوله يمكننى الاعتماد على بيت حافظ « سعيت الى ان كدت انتعل الدما » لاصور حالة مصر غاية فى البؤس

فقام قثم بن عبد اللات (الاسم الذي يرجح الدكتور انه كان لمحمد بن عبد الله) الذي كان يتضور جوعا فيقتات من الكباث وثمر الاراك للاصلاح فبث دعوة ناضل فيها الأثرياء وكان مجاهدا كثير الاحلام ولكنه لما انتقل الى المدينة اخذ فى العمل والتنظيم الامر الذى دعاه الى التساهل مع عظماء قريش وقد نتج ذلك عن تغير حالته وتبع ذلك بالطبع تغير شعوره فجعل للقرشيين حظا فى ادارة جمهوريته وجمع منهم الزكاة ليرضى بها السوقة ولكن لم تلبث الحالة طويلا كذلك حتى خصصت المبالغ التى تجمع للزكاة لمصاريف الادارة الحكومية. هذا هو ملخص فصله الاول وتلته فصول بحثت فى

(٢) الامبراطورية العربية والامم المغلوبة
(٣) حركة بابك وتعاليمه الاشتراكية
(٤) الاسماعيلية وتعاليمها الاشتراكية
(٥) القرامطة وتعاليمهم الاشتراكية
(٦) الخاتمة

والكتاب يحوى ما يصح ان يعد جديدا من النظريات ولكن محاولة المؤلف صبغ كتابته بصبغة الاشتراكية المتطرفة دعاه الى الخروج عن الموضوع والاغراق والتهويل. وكم كنا نود لو كتب الدكتورالفاضل كتابه بروح علمية بعيدا عن . . . . .

ولكن — لعل له عذراً ونحن نلوم

تدرج المذاهب فى التربية

ونزعة سبنسر

رسالة مدرسية نال بها عبد الكريم احمد السكرى الدكتوراه من الجامعة القديمة سنة ١٩٢٨ وقد أشرف على تحضير الرسالة دكتور واستاذ، هما منصور فهمى وعبد الحميد حسن. وتكونت لجنة الامتحان من الدكاترة منصور فهمى وعلى العنانى واحمد ضيف والاستاذين عبد الحميد حسن وأمين مرسى قنديل. تقع فى ٢١٢ صحيفة من القطع الاكبر. وتباع بمكتبة سعد زغلول بشارع الفجالة وثمنها ٢٠ قرشا صاغا

لا يتوانى مجلس ادارة الجامعة المنحلة، اى الجامعة القديمة التى اندمجت فى الجامعة الجديدة، عن ان يزود البلاد بالدكتور تلو الدكتور. ومن غريب الامر ان يظن الناس انه لقبا علميا تمنحه ادارة الجامعة القديمة يكون له ذلك الوزن العلمي الذى يكون للقب يمنح من ادارة قد كونت على أن تحفظ للعلم كرامته وان تجعل للالقاب التى تمنحها وزنا صحيحاً قائماً على كفاءة علمية أو أدبية يبرز بها الطالب فى الفرع الذي يتخصص فيه.

على انى ما كنت فى يوم أشد اقتناعا بوجوب الغاء مجلس ادارة الجامعة المنحلة منى اليوم وبعد ان اطلعت على رسالة الدكتور السكرى وقد ملئت بالاخطاء العلمية والفلسفية فى ابسط مظاهر المعرفة الاولية بتاريخ المذاهب. ولو أن الخطأ قد تغلغل فى نظرية أو فى مذهب اذن لقلنا له فى ذلك رأى. غير أن الخطأ فى تسميات اصطلح عليها. فالدليل قاطع والحجة اذن ناهضة على أن هذا الخطأ راجع إلى جهل بالمذاهب الفلسفية وضعف فى درس ما تقوم عليه مدارس الفلسفة من المذاهب.

خذ لذلك مثلا كلمة _ Scholasticion _ فقد عرفها فى فهرس الرسالة فقال بانها « البحث العقلى على ان يكون وسيلة لخدمة المعتقدات السائدة ».

ثم عرف هذا الاصطلاح نفسه فى ص ٥٣ فقال إنه « حركة التعقل وما ولدته من الميل للتوفيق بين احكام العقل واحكام الدين على اساس الايمان المطلق » فقال اولا بانها البحث العقلى ثم رجع فقال بانها حركة التعقل — والفرق بين الاصطلاحين كبير لغة ومعنى، فايهما يعنى الدكتور ؟ لا ندري .

والحقيقة ان معنى Scholasticiom هو الفلسفة المذهبية التى استعانت بالفلسفة القديمة علي تأييد مذاهب اللاهوت النصرانى . اذن فهى ليست ببحث عقلى ولا حركة تعقل. واذا أصر الدكتور على رأيه فليعرفنا اذن ما هو الفرق بين Scholasticism و بين Rationalism ؟

اما الدليل علي ما نذهب اليه أن كل المعاجم الكبرى لا تفرق بين الفلسفة المذهبية و بين تاريخ الكنيسة . جاء في القاموس الانسيكلوبيدى مجلد ٦ ص ٢٧٨ ما يلى :

Scholasticism :

Philosophy and Church History: The name given to a movement which began by the opening of cloister schools by Charlemagne (742 - 814), attained its greatest development in the early part of the thirteenth century under Aquinas and Scotus, and, after receiving a check from the labours of Roger Bacon (1214 - 92) and the criticism of Occam (died 1347), gradually subsided at the Renascence. Scholasticism was the reporoduction of ancient philosophly under the control of ecclesiastical discipline, the former being accomodated to the latter, in case of any discrepancy beitween them.

وجاء في كتاب العلامة أوبرفج Ueburweg الالمانى ص ٢٦٢ مجلد أول من الترجمة الانجليزية : ما يلي

" But when the bileif of the Church had been unfolded into a complex of dogmas, and when these dogmas had become firmly established, it remained for the School to verify and systematize them by the aid of a corresponding reconstruction of ancient

philosophy; in this lay the mission of Scholasticism.

وليقل لنا حضرة الدكتور بعد ذلك أين البحث العقلى واين حركة التعقل؟الا ان يكون أساسها سوء الفهم وعدم الصبر علي البحث الأولي فى مادة من أبسط المواد .

واليك مسألة أخرى فقد ترجم الجملة الآتية

The Rise of Moslemism and its absorption of Greek Culture

بما يأتى .

« الثقافة الاسلامية وما انتجته من اتساع نطاق المعرفة وايقاظ الروح العامية لتحرير العقل الانسانى » ص ٥٣ .

فاية علاقة بين الجملة الانجليزية والترجمة العربية ؟ ونظن أن تلميذا فى الثانوى فى امكانه ان يترجم هذه الجملة بما يقرب من أصلها من غير أن يكون دكتوراً من الجامعة المنحلة .

واذا كان هذا مقدار فهم الدكتور للغة التى اعتمد عليها فى مراجعة مصادر الكتاب فاية ثقة تقوم بعد ذلك فى نفس باحث يريد ان يتخذ رسالة الدكتور اساساً لبحث فلسفى فى التربية ؟ وما قولك بعد ذلك فى فهمه لنظريات سبنسر ، وما أظن أن سنبسر اشد غموضاً فى كتاب من كتبه منه فى كتاب « التربية » .

وجاء فى ص ٨٨ « ان قـوة الذاكرة تنمـو بدراسـة الآداب » ـ Classics ـ والحقيقة أن كلمة ـ Classics ـ تدل على الآداب القديمة تعيينا لا الآداب مطلقة كما فعل الدكتور .

وجاء في نفس الصحيفة ان « قوة الحـكم » Faculty of reason تنمو بدراسة الرياضيات والطبيعيـات — والحقيقـة أن قوة الحـكم هى ما يعرف عند علماء النفس باصطلاح Faculty of judgement. اما ما يعرفو نه باصطلاح Faculty of reason فقوة العقل.

وجاء فى ص ٨٩ .

« على ان نظرية « التأديب الشكلي او انتقال التدريب أو التعليم الجامد » الخ ـ The doctrine of Formal discipline ـ وليس فى هذه التسميات الثلاث ما يدل على حقيقة ما يعنى بالاصطلاح ـ والحقيقة أن معناه التربية على النظام التقليدى فلا شكلية ولا تدريب ولا جمود .

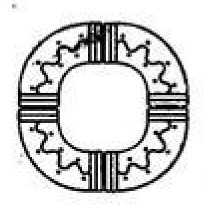
وجاء فى ص ١٣٨

« لو أن المعلمين انقادوا الى ارشادات الطبيعة فى تقدير الرسم كفن من من الفنون وفى أسلوب تدريسه لكانت نتائج عملهم انفع من ذلك وأصلح »

واليك النص الاصلى الذي ترجم عنه هذه القطعة كما نقله المؤلف

" Had teachers been guided by nature's hints, not only in making drawing a part of education, but in choosing modes of teaching it, they would have done still better than they have done .

فكلمة ـ drawing ـ تدل على الرسم النظري التخطيطي لا الرسم مطلقاً . ثم أين كلمة « فن من الفنون » في الاصل ، واين الجملة المعترضة ثم الجملة المستدركة ؟ هذا مبلغ فهم الدكتور للغة التي اعتمد عليها فى نقل الرسالة . ولا جرم أن ذلك يدل على قيمتها دلالة واضحة



المدرسة السفسطائية[1]

Sophistes

ترتاب هذه الجماعة فى إمكان معرفة ماهية (حقيقة) الاشياء وقد قادهم ارتيابهم هذا الى البحث عن المعرفة وشروطها . نشأت هذه المدرسة فى المدن اليونانية الشهيرة — خصوصاً فى مدينة اثينا — وذلك فى العهد الديمقراطى . وكان همها منحصراً فى اعداد شبان لهم قسط ناجح من الثقافة التى تفيدهم فى حياتهم العملية . أما معنى اللفظة فى الأصل فهو « حكماء » وكان اتباعها ينتقلون من مكان إلى آخر للتعليم دون أن يحاولوا توحيد آرائهم ولم يبحثوا « الاجسام » وما وراءها ولكنهم التفتوا الى المنطق الارتيابى

أما السبب فى اطلاق اسمهم على كل ما هو سخيف من المحاورات فهو افلاطون الذى عاصر فلاسفتهم المتأخرين المشتغلين بالمحاماة ، الامر الذى كان يحدو بهم الى قلب الحقائق رأساً على عقب ، بالمغالطة معتمدين فى ذلك على سرعة خواطرهم لاجل تبرئة موكليهم وكان أغلب هؤلاء المتأخرين من السفسطائيين - بروديكوس Prodicus — مثلا من الخليعين المستسلمين لتيار اللذات ، فعلى هؤلاء ، دون من سبقهم ، انصبت انتقادات سقراط وافلاطون وأرسطوا ، الذين لم يحاولوا مهاجمة بروتاجوراس أو جورجياس بالمرة ولكنهم كانوا يأخذون عليهما امتهان التعليم وجعله وسيلة للتعيش

علمت هذه المدرسة أن مظاهر (صفات) الاشياء التى نراها لا تخصها ولكنها تنتج عن الصلة الموجودة بيننا و بين هذه الاشياء . قالوا ليس هناك ذات (ماهية) فهذا ناتج عن شعورنا . فاذا نراء اى جسم من الاجسام لأحد

---

[1] فصل من كتاب المدارس الفلسفية لعمر عنايت

الناس فى صورة معينة وظهر فى صورة مخالفة لفرد آخر فان الجسم هو فى الواقع كما يتجلى للاثنين،لان الانسان هو المقياس الوحيد الذى تقاس به الاشياء. وعلى هذه الفكرة اهتموا بتدريس مخصات العلوم بطريقة سطحية على زعم امكان الوصول بذلك الى المعرفة الصحيحةوأهملوا عمل أية محاولة للتفريق مابين الخير والشر. وانتهى الأمر بان قضى خلفاؤهم على سمعتهم بتشجيعهم للاباحية دون أن يعيرو االقانون اوالاخلاق أدنى التفات ، قائلين إن الحق للقوة فهى القانون الطبيعى ولم يكتفوا بذلك بل أيضاً شجعوا الناس على وجوب تلبية كافة رغباتهم واشهر فلاسفة هذه المدرسة : —

١ . بروتاجوراس Protagoras (٤٨٠ — ٤١١ ق . م .)

اتهم بالكفر لانه شك فيما اذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة . الحواس هي الكل فى الكل وهى أصل المعرفة . حواس الناس دائمةالتغير وهى التى تحكم باختبارنا ، عن طريقها ، وما تحكم به هو الحق . ولكن قد تتناقض الاحكام الفردية مع بعضها ، كنتيجة للاستنتاج الفردى . فالحكم الخطأ يساوى الحكم الصواب . وكل حكم هو خطأ فى نفس الوقت الذى يكون فيه صوابا . والاصابة (الخير) هي السرور فكل ما نسر منه صواب (خير) . حاول بروتاجوراس الوصول إلى الكمال الوطنى (المدنى) وحصر همه في العمل لتثقيف شعبه وجعله قادراً . وظن أن ذلك يتيسر له بايجاد خطباء قادرين على قيادة مشاعر الامة

٢ . جورجياس Gorgias (٤٨٠ — ٣٧٥ ق. م)

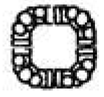
قال ليس هناك شيء (ماهية) وراء الظواهر (المرئيات) واذا فرض وأمكننا الوقوف على حقيقة (ماهية) هذا الشيء فليس من الهين علينا تفهيم الناس اياه . اذا كان الموجودوجود فيجب أن يكون هذا الوجود أبديا « والابدى لا يحتوى على شيء . وحتى لو تمكنا من معرفة شيء فان هذا الشيء يكون « واحداً » مع العقل (يتوحد مع العقل) . وهنا يتساءل هل يصير العقل أيضا

اذا عرف البياض ؟ كل حاسة لا تدرك إلا ماله علاقة بها فالبصر مثلا يدرك الالوان ولكنه لا يدرك الاصوات فهى من اختصاص السمع

٣ · برو ديكوس Prodicus (؟)

كانت محاضراته تدور حول « ما يجب أن يتخذه الانسان نموذجا لسلوكه ابان حياته » وارتأى أن يعمل الانسان ما فى وسعه لكي يكون قويا لان الحق للقوة . فالقوى هو الذى يطأ الضعيف بقدمه « هذا هو القانون الاخلاقى الطبيعى » .





محاربة البشاعة

اثر المدنية الحديثة على الريف امر ظاهر وقد اتضح ان الانسان اقدر المخلوقات علي ايجاد ابشع المناظر، واذا قام بعمل فيه مسحة من الجمال فذلك ينتج عن شذوذ فى استعداده . والآن لنا ان نتساءل كيف يمكننا ايقاف الأغلبية التى لا تملك ولو جزأ يسيراً من هذا الشذوذ من التمادي فى اعمالها المنفردة

كلنا يلاحظ ان اذا ما سار فى الريف سواء فى البلاد المتمدنه او النصف متمدينةان يجد بين المناظر الطبيعية الجذابة لوحات الاعلانات عن أطعمه ملصقة بجوارها اعلانات أخري عن دواء يمنع التخمة فهل يقصد أولئك الباعة تشوية الجمال الذى تقع عليه الاعين ام انهم لا يشعرون أنهم يرتكبون جرما

و يظهر ان الذين وضعوا قانون العقوبات وعينوا الجرائم المعاقب عليها مثل العربدة والسرقة والسباب لم يخطر ببالهم ان هناك مجرمون يسرقون ما هو أشد وطأة مما سبق ذكره اي صدم تخيلات محبي الطبيعة بحواجز تحوى اعلانات سخيفة . فاذا كان الرجل الذى تدفعه الحدة او النزق للسباب وهو فاقد لوعيه بضع دقائق معرض للعقاب الرادع فلم لا يعاقبون الذي يسب باعلاناته حب الجمال ليس لوقت معين بل لعدة سنين متتابعة . الجمال من اسماء الله ، ومن اهم الدواعى الموقظة للايحاء الروحي رؤية الملك فى أقصى جماله

ولحسن الحظ ان البلاد الغير متمدينة لم تنل قسطها من هذه البشاعة بعد فى حين ان البلاد الاقل تمدنا لم تحظ بشيء من الراحة بعد . ومن الغريب ان بلاد الاستشفاء وجهات المصايف لم تلحظ بعد ما فى هذا العمل من الضرر بل بالعكس نجدها تشجع عليه فكأنها مندفعة الى تشوية النعمة التى حبى الله بها بلادها

يجب أن ينتقى كل مجلس بلدى او محلي او قروى لجنة من اعضاء سليمى الذوق لتدافع عن الجمال الذي نحن فى حاجة قصوي اليه ليس بازالة تلك اللوحات فقط بل أيضا باجبار الآهلين والهيئات على اشادة دورهم باشكال جذابة. كذلك يجب تنظيم الخضروات علي جانبى كل طريق بشكل يفعم القلب سروراً

ويجب ان لا نغفل ذكر ان بعض الاوساط التعاونية قد سعت بالفعل للقيام بهذا المشروع ولكن عددها للاسف لا يزال يسيراً

ويجب أن لا يشكو التجار مما يسمونه حظر حريتهم في الاعلان لان لصق الاعلانات على حوائط المحراب لا يدل علي ذوق سليم وحتى ولا على احترام للقداسة بل لماذا لا يحتجون لمنعهم من تلويث التماثيل المثبتة فى الميادين بقاذوراتهم البشعة . يذكر عن جورج برناردشو انه قال لو كنت انحكم فى فصيلة من الطوبجية لعرفت كيف أجعل هذا البلد جميلا وقال هين انه يتخيل الطبيعية حين يماشي حبيبته كالسماء يتخطر فيها الملائكة الاطهار

آه لو ثار المحبون والعاشقون فساروا خلسة تحت جنح الظلام ليعملوا على ازالة هذه الوصمات من جبين الطبيعة الخالدة. اليس لأولئك مطلق الحق في المطالبة بمراعاة عواطفهم، مثلهم فى ذلك كمثل المتدينين واصحاب المبادىء الذين يتمتعون بحماية القانون ؟

هذه ملخص حملة قامت بها احدى المجلات الايرلندية وكم كنت اود لو أن كاتبها زار ريف مصر ليرى الطف المناظر متجلية في أكوام الاسبخة البهجة المنظر الزكية الرائحة وفى الهيئات المتجلى علي سيمائها ، ليس البؤس، بل السعادة والغبطة خصوصا تلك المخلوقات الصغيرة التى لا تكاد تعرفها من صغار الجاموس والبقر!!!

أديب

حتى على الاقدار

أبدوا بألسنة لكم من نار ... ما فى جماجمكم من الافكار
أقضوا على الآداب غير حميدة ... كالسيل هداراً وكالإعصار
ثوروا على العادات ثورة حانق ... وتمردوا حتى على الاقدار
كونوا جميعاً سادة لنفوسكم ... فالعصر هذا سيد الاعصار
وتقدموا متواثبين لتلحقوا ... بالسابقين الغر فى المضمار
أما تهاونكم فيجرح أمره ... فى القبر عزة يعرب ونزار
أليس الحياة سوى نزاع دائم ... يا للضعيف به من الجبار
الفوز للجلد الجرىء فؤاده ... والويل كل الويل للخوار
ياشيب لستم للوغى فتأخروا ... وبدار ياشبان ثم بدار

* * *

لا تقبلوا فى الدين ما يروونه ... إلا إذا ما صح فى الانظار
إن اليقين لفى الشهود جميعه ... والشك كل الشك فى الاخبار
أنضوا القديم وبالجديد توشحوا ... حتى م تختالون فى الاطمار
وتجردوا من نير كل خرافة ... خرقاء تلقى الرين فى الافكار
وتحرروا من قيد كل عقيدة ... سوداء ما فيها هدى للسارى
أمن اكتفى بخرافة هو مؤمن ... ومن امترى فيها من الكفار
أم هل يخلد جاهل فى جنة ... فيها النعيم وعالم فى النار
استرشدوا بالعقل ان سراجه ... ليضىء ليل الشك بالأنوار

ما العلم في العصر الذي نحيا به　　إلاّ سلاح الناهض المغوار
والعلم يحيي كل أرض أجدبت　　والعلم مثل الهاطل المدرار
أو دوحة إن أورقت أغصانها　　جاءت لكم بالظل والأثمار

* * *

قولوا الحقيقة جاهرين وأعلنوا　　للناس ما فيها من الأسرار
في كتمها عنهم إذا فكرتم　　ما ليس في الاظهار من أخطار
هي غادة حسناء إن لم تحتفل　　بجمالها ذهبت إلى الاغيار
أنسومها خسفاً ونوسعها قلى　　يا للجهالة ثم يا للعار
إن لم تقولوا الحق عند ثبوته　　جهراً فما أنتم من الأحرار
إن الحقائق كالصباح جميلة　　للناظرين وكالنجوم عواري
ولقد شهدت طيوفهن يزرنني　　عند العشي معاً وفي الابكار
ينفرن مني ثم لا يلبثن إن　　يأنسن بي فيعدن بعد نفار
وإذا عبسن فهن أشواك الفلا　　وإذا بسمن فهن كالازهار
ما في الحياة جميعها من خافق　　كالقلب عند تصادم الانظار

* * *

إني أرى صبحاً تبلج وجهه　　والصبح أعرفه من الأنوار
أأرى الصباح ولا أغرد شاهقاً　　إني إذاً حجر من الأحجار
أنا بلبل أنشودتي أغرودتي　　أشدو بها ويراعتي منقاري
لو لم أكن ذا لحية وسدارة (١)　　لحسبتني طيراً من الاطيار

بغداد　　جميل صدقي الزهاوي

(١) السدارة هي القلنسوة يلبسها الموظفون في بغـ

وولتر سكوت


سير وولتر سكوت

في العصر الذى نبغ فيه من الشعراء كوبر وكراب و بليك و بارنز، والشعراء الذين عرفوا فى الادب الانجليزى بشعراء البحيرات ، ثم واردز ورث وكوليردج وسوزى وغيرهم ، تقع في تاريخ الأدب الانجليزى على صفحة مجيدة بل صفحات بيضاء لا بد من أن يعقدها كل مؤرخ يحاول أن يكتب فى صور الأدب التى ظهرت فى « الجزر المرحاء » عن رجل ظهر من سلالة من أشرف السلالات الايقوسية واضخمها حسبا وانبلها نسبا ، وكان حلقة وصل فى سلسلة يكون وحداتها من مرت بك اسماؤهم ثم يتابعهم بعد « وولترسكوت » وهو الذى نعنيه بالكلام، افذاذ من امثال لاندور وكامبيل ومور وروجرز ، ثم من بعدهم بيرون وشيلى ، ومن بعدهما كيتس ؛ ثم رجال تلك المدرسة التى عرفت في انجلترا بالمدرسة الرومانتية الثانية

على أنك اذا أردت أن تحلل شخصية سير وولتر سكوت فانك لن تبلغ منها بفهم الا اذا عرفت بديا انها من الشخصيات المزدوجة ، فهو فى الشاعرية شاعر مجيد ، وفى التأليف الروائى كاتب من أمجد الكتاب الذين أنبتتهم الانسانية . على أننا لا ننسى مع هذا أن صفة الشاعرية قد امتزجت بكل نواحى نفسه فهو فى رواياته شاعر يصور لك بخياله الحقيقة التاريخية، فيخيل اليك أنك تقرأ

صفحات من الخيال الممتد بقوة التصور الى اقصى حدود اللا نهاية ؛ في حين انك انما تقرأ وصف بطل من الابطال او فارس من الفرسان ، أو تقرأ تحليلا لشخصية خادم أو سيد عضه الفقر و بقيت له عزة النفس ونعرة الحسب القديم أو تتغلغل في ناحية من نواحى التاريخ فتستقرىء صورة من صور الحياة الاجتماعية التى عاش فى ظلالها أجداده الايقوسيون فوق جبالهم الشامخة و بين ثلوجها ونجادها ومغاورها المخيفة ، ثم تتابعه فاذا بك امام قزم يروى عنه التاريخ بعض الشيء ؛ كل هذا وغيره تقع فيه على حوادث روائية ولكنك لن تستطيع أن تتخلص من شعور أنك تقرأ لشاعر كبير حاك الشعر فى سطور منثورة . فهو فى قرارة نفسه شاعر وفى حياته الاجتماعية روائى تغلب فى روايته الشاعرية المستمكنة من كل نواحى نفسه الفياضة بالمعانى الخالدة الجياشة بالآمال الوثابة الى الذكريات والى مجد ايقوسيا القديم يحييه في الأذهان بالشعر الخالد و بالرواية مازجها الشعر وصنع فيها الخيال ما يصنع السحر بالألباب .

على أنك ان وقعت فى رواياته على الشعر بارزا وعلى الشاعرية متجلية فى ابهى معانيها ، فانك لا تقع فى شعره على أثر لصفة الرواية التى نال بها أكثر شهرته العالمية . وعندى أن هذا دليل قاطع على أنه فى حقيقته شاعر اتخذ الرواية ذريعة على مدافعة الحوادث التى حاكت من حياته مأساة طويلة المدى بعيدة الأثر ممضة لنفسية شاعر ملؤ نفسه الشاعرية .

على أنه كان في شاعريته مثل خالد لبيئته التى نشأ فيها ولصفات آبائه التى تغلب فيها النزعة الى الرنات الحزينة البعيدة الغور فى النفس . ولكنها رنات إن مازجها الأسي ونفذ الى أعماقها الحزن الأليم ، ففيها من جمال الطبيعة قدر يجعل ذلك الحزن اشبه بالمرح الهادىء ، ولكنه هدوء يهز أعماق النفس هزاً عنيفاً . واليك مثال على هذا نقتطعه من قصيدته الخالدة « سيدة البحيرة »

He is gone on the mountain,
He is lost to the forest,
Like a summer dried fountain,
When our need was the sorest.
The fount reappearing
From the raindrops shall borrow,
But to us comes no cheering,
To Duncan no morrow.

* * *

The hand of the reaper
Takes the ears that are hoary,
But the voice of the weeper,
Wails manhood in glory,
The autumn winds rushing
Waft the leaves that are serest,
But our flower was in flushing
When blighting was nearest.

* * *

Fleet foot on the correi,
Sage counsel in cumber,
Red hand in the foray,
How sound is thy slumber!
Like the dew on the mountain,
Like the foam on the river,
Like the bubble on the fountain
Thou art gone, and forever.

* * *

هذه صورة من شاعرية سكوت ومن نبرات نفسه ما تجد لها في الصياغة الكلامية من مثيل اللهم الا عند الطبقة المنتقاة من الشعراء الذين تخير الانسانية

بانهم منها ، او بالاحرى الذين لهم الحق أن يفخروا على الانسانية بانهم كانوا ابواقها الذين عبروا عن مشاعرها وترجموا عما تحس فى قرارة نفسيتها من معان ومن آلام ومن مسرات لولاهم لبقيت مطوية فى اعماق النفس طيا لا نشور له ، ولظلت مدفونة دفنا لا أمل فيه لبعث ولا حياة أخرى .

***

على أنه في كل هذا كان من أئمة الاسلوب الرومانتيكي ومن أكثر العاملين على ذيوعه . فهو فى شاعريته وفى روايته نسيج وحده . ولكنه من حيث الأسلوب اصيل فى المذهب الرومانتيكي الحديث ، ومن أكثر العاملين على أظهار محاسنه الادبية والنزول بها من سماء التخصيص الى عالم التعميم الصرف ، فكأنه بذلك من أول الذين أذاعوا هذا المذهب وعملوا على نشره بين الناس جميعاً ، بعد أن كان مقصوراً على طبقة منتقاة من الأدباء والمشتغلين بالأدب .

ولد وولتر سكوت فى « ادنبرج » . وظل طول طفولته نهبا للامراض وغرضا للسقام ترميه بآلامها وممضاتها ، وما زالت تغالبه ويغالبها حتى استقوى عليها . غير أنها تركت به أثراً غير زائل اذ خلفته في الخليقة أعرجا . غير أن كل ما انتاب سكوت من عجز فى الطبيعة ونقص فى التكوين قد استعاضه بان هيأت له الظروف حياة ملؤها هواء طلق في ريف ايقوسيا حيث اكب على الكتب يقرؤها ويقطع بها وقته ، فعوض عليه ذلك من ناحية أخرى ما أفقدته السقام من قوة الفهم وحدة الذهن . وكان هذا سببا فى ان يستعمق فى درس طبائع أهل الريف ويعرف تقاليدهم والكثير من اخبارهم التاريخية . تلك المعلومات الاولية التى انتجت فيما بعد اروع ما أخرج سكوت فى رواياته من صور الحياة كما ورثها عن آبائه الاقدمين .

ونشأ في المدرسة العليا وفى جامعة ادنبرج . وأريد به أن يكون محاميا ودخل فى سلك المحامين سنة ١٧٩٢ . غير انه لم يكن ميالا بطبعه لمهنته هذه ولكنه اخذ ينفق وقته في الطواف في انحاء ايقوسيا اما لمهمة يؤديها واما لمجرد التسلية وقتل الوقت .

وكان أول عمل أدبى له ترجمة الرواية « جوته » المعروفة باسم « الدم والرعد» وهى رواية احدثت أثرا كبيرا في المانيا لدى ظهورها . وكان ذلك فى سنة ١٧٩٩ وكانت الترجمة صحيحة وفيها كثير من الجمال الادبى . غير أنه أظهرها فى عصر لم يكن اتجاه الأدب الانجليزى فيه مشجعا على استمرار شيء من منتجات الالمان الأدبية . وفى سنة ١٨٠٢ـ١٨٠٣ نشر قطعا شعرية بعنوان Ninstrelsy of the Scottish Border وهى مجموعة شعرية لها قيمة أدبية تاريخية كبيرة غير أنها تدل فى أخص ما تدل عليه على الاتجاه الذى كان يتجه فيه عقل سكوت. وفيما بين سنة ١٨٠٣ و ١٨٠٥ أظهر ديوانين شعريين تمازجت فيهما التصورات القديمة التى كان قد أثبتها فيما كتب من قبل بمبتكرات خيالية في حياة البطولة التى عاش فى ظلالها اهل ايقوسيا في العصر القديم . وكان ثانى هذين الديوانين ديوان اسماه The Lay of Last minstrel ولقد حاز بهذا الديوان نجاحا وأصاب شهرة ، اذ ظهر للنقاد بعد قليل أن طريقة سكوت فيه قد بزبها كل الشعراء الذين سبقوه وانه لم يسبق بمثله فى كل ما يروى تاريخ الآداب التى ذاعت لعهده من صور الأدب . ولقد ثبت فى روع المشتغلين بالأدب إذ ذاك أن وولتر سكوت لا يمكن أن يكون شيئاً ما لم يكن أديبا ويتخذ الأدب فى الحياة مهنة . على أن ذلك كان صحيحا من كل الوجوه . فان « أديب الشمال » قد حاز باشعاره هذه مكانة زادت في صدور اهل الأدب مع الزمان ولم يفتقد شيئاً منها حتى هبط الى الرمس عظيما فى موته كما كان عظيما فى حياته .

ونشر ديوانه Marmion سنة ١٨٠٨ وسيدة البحيرة The Lady of the Lake في سنة ١٨١٠ . وليس أدل على ما أحدثت هذه الاشعار من أثر في الادب الانجليزي من أن أجور النقل في عربات البريد قد زادت زيادة فاحشة اذ تقاطر الناس الى الاماكن التي وصفها سكوت في اسفاره يحجون اليها كما يحجون الى اماكن مقدسة يقضون بزيارتها حق الذكرى والعظة . وظهرت بعد ذلك قطعته المشهورة Rokeby سنة ١٨١٣ وقطعته الاخرى « سيد الجزيرات » — The Lord of the Isles سنة ١٨١٤

وفي ذلك الحين ظهر شاعر عظيم من شعراء الانجليز هو « اللورد بيرون » فتحولت بظهوره الانظار بعض الشيء عن سكوت فحول همه الى كتابة رواياته الخالدة فحاز في ميدانها نجاحا عالميا لم يكن نجاحه في عالم الشعر مقيسا به الا اشبه بقبس ضئيل اذا قيس بشمس مضيئة وهاجة . على أن نجاحه في الشعر لم يقتصر على أن ينال صيتا بعيد المدى ، بل عاد عليه بأرباح مالية عظيمة لم يسعد بمثلها شاعر قبله . ولقد تكلم في هذا كثير من النقاد وقارنوا بين سكوت وبين واردز وورث وكوليردج . غير انهم انتهوا بفكرة أن سكوت قد استطاع أن يبهر الناس بشيء جديد امكنه ان يعبر عنه في اسلوب سهل ممتنع أرضى في الناس نزعتهم الى السهولة وعدم اعمال الفكرة في فهم المرامي التي رمى اليها في أشعاره . في حين أنه وارد زوورث وكوليردج قد عمدا الى المعاني العليا يستدران وحيها ثم يصبانها في قالب من الشعر يمتنع على غير العريقين في الأدب فهمه واستيعابه . غير أنه مهما قيل في منزلة سكوت بين أدباء الانجليز فهو في الشعر من افذاذهم وفي النثر والرواية يعد في طليعة الذين حولوا تيارات الأدب في اتجاهات جديدة

* * *

لا يمكن لأحد أن يتكهن عما كان من الممكن أن يكون مستقبل « سكوت »

فى الادب الانجليزى لو أنه لم يجبر على أن يترك الشعر بظهور « بيرون » . على أن التكهن فى مباحث الادب كالتكهن فى مباحث العلم ، اسراف وظلم . اما الحقيقة الواقعة فهى أن ظهور بيرون قد حول نظر الاديب الايقوسى الكبير الى ملقات اوراقه القديمة فعثر فيها على مخطوطة كان قد أسماها « ويفرلى» Waverly فاكلها ونشرها رواية تاريخية سنة ١٨١٤ . وكان هذا مبدأ خروج سكوت من عالم الشعر ليلج عالم القصص .

***

إن النجاح الذى اصابه سير وولتر سكوت فى رواياته يعد من مدهشات التاريخ الادبى فى كل العصور وبين كل الأمم . فان تاريخ روايته « ويفرلى » يقرب من أن يكون قصة خيالية . فانه عندما كان في أوج شهرته كشاعر، تنكب طريق الشعر هنيهة وا كب على فصول من رواية اختمرت فكرتها فى رأسه وأخذ يكتب فصولها الاولى . وبعد أن أتم بضعة فصول منها اطلع عليها أحد اصدقائه النقاد فلم يشجعه على المضى فيها إذ أبان عن رأيه بصراحة فكان على غير ما يطمع فيه سكوت، فاخذ ما كتب والقاه في احدى زوايا مكتبه . غير أنه في سنة ١٨١٤ عند ما رأى أن جمهور القراء قد أخذ يتحول الى شاعر آخر لا يقل عنه مواهب ، بل يبزه جاذبية ، فكر فى أن يتبع في الأدب طريقا آخر . وبينما هو يقلب أوراقا قديمة وقع على مخطوطته التى تركها من قبل . ثم فكر فى أن يكملها وعكف عليها ووافر عليها كل قواه حتى انه لم يمض اسبوعان حتى كان سكوت يكتب فى الفصول الاخيرة من الجزء الثالث من « ويفرلى أو منذ ستين سنة » Waverly, or tis Sixty years Since. ثم طبعت ونشرت فى شهر مارس سنة ١٨١٤ . ولقد قدر للرواية نجاحا عظيما . وكان نشره الرواية من غير ان يذكر على غلافها اسم مؤلفها قد دفع الناس الى الحدس لعلهم يعرفون ذلك الفذ العظيم الذى كتب ويفرلى . ولقد اتبع هذه الطريقة فى كل رواياته التى نشرها

بعد ويفرلى مخفيا اسمه تاركا الناس في حيرة من امره حتى أعلن عن ذلك في مأدبة غداء في ادنبرج رأسها سكوت نفسه في ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٦ .

ولن نستطيع أن نذكر كتابا ظهر في عالم التأليف الروائى فكان أكثر من ويفرلى جذبا للقراء وامتاعا لنزعاتهم وارضاء لشهوة الاستطلاع فيهم . وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يستطع ناقد واحد أو مؤرخ فى تاريخ الادب الانجليزى ان يكون فكرة في القيمة الادبية التى كانت لهذا الكتاب عند قراء ثلاثة أرباع قرن نشط فيه الادب في نواحى العالم وكثر فيه الكتاب كثرة لم يعهدها تاريخ الآداب فى عصر آخر . ونجد فوق هذا أيضاً ان الروايات التى نشرها سكوت بعد ويفرلى على اختلاف ضروبها لم تزد ويفرلى الا قيمة بل ساعدت القراء على استظهار محاسن ويفرلى من كل الوجوه أدبياً وفنياً واسلوبياً . وكان فى الادب الانجليزى قصص خيالى وكان فيه روايات تاريخية وأخرى غير تاريخية . ولكن قدر لسكوت ان ينال الفخر الاكبر فى أن يكون اول واضع لتلك الطريقة التى جمعت بين القصص الخيالى والرواية التاريخية فكانت صورة موحدة بلغت من كمال الفن الروائى الذروة العليا .

وظل سكوت أحد عشر عاما يعيش عيشا هادئاً ناعم البال بما أصاب من فخر يليه فخر ومن نجاح يعقبه نجاح من غير أن يكدر صفوه حادث أو يصيبه من الدنيا رهق . وأخذ يصدر رواياته بنسبة روايتين كل عام . ففى سنة ١٨١٦ اخرج روايته The Black Dwarf اى القزم الاسود وروايته ـ Old Mortality ولا يمكنك أن تعرف مقدار ما أثرت هذه الروايات فى انفس قرائها منك اذا عرفت ما أجاب به لورد هولاند اذا سئل عن رأيه فى ما يكتب سكوت فقال « أتسألوننى رأيي ! لم يذهب أحد من أهل منزلى الى الفراش ليلة أمس. لم ينم من شيء الا آلامى التى أعانيها من مرضي » .

ويقال بأن كتابات سكوت فى ذلك الحين كانت تدر عليه ١٥٫٠٠٠ جنيه

بكل سنة . فاشترى أرضا على نهر التويد وأقام فوقها قصره المشهور المعروف باسم « أبو تسفورد كورت » Abbotsford Court ولقد زود هذا القصر بكل ما يمكن أن يخطر ببال أو تطمع فيه نفس . وأخذ يشترى من الاراضى التى حول قصره اجزاء حتى كان فى مستطاعه ان يتنزه فى داخل حدود غاباته . وكان قصره مفتوحا لكل زائر ، وعمل سكوت عن ان يحيى فى عصره آداب الضيافة التى هى من صفات أجداده الأيقوسيين . فكان يرمى بالاسراف والافراط . ولكنه لم يكن يفعل من شيء سوى انه كان ينفق بسخاء من ايراد لم يكن ليحتاج من هم أو اشفاق فى سبيل الحصول عليه . فان سكوت كان يعمل للفن ، وكان عمله يدر عليه ما يتوافر هو على انفاقه . ولقد كان من حوله فئة من « المساكين » يقاسمونه السعادة و يشاطرونه الهناء ، فلما أن حلت الكارثة قاسموه الأسى وشاطروه مرارة الخذلان .

وكانت الطامة التى نزلت بسكوت فظيعة بشعة . غير أنك مهما بحثت في أسباب الكارثة التى نزلت بالكاتب الايقوسي الكبير فانك لا يسعك الا العجب ، فى حين انك لا تستطيع أن تفهم اسبابها وحقائقها الا فهما مختلطا مهوشاً .

قبل أن تحل بسكوت المصيبة بزمان طويل كان قد خالط شخصاً عرفه فى سنيه الدراسية اسمه « جون بلانتين » Gohn Ballantyne كان يكتب جريدة ريفيه صغيرة وينشرها . وكان من أشفاق سكوت عليه ان يدعوه الى ان يهبط ادنبرج ، فكان ذلك سنة ١٨٠٥ و زادت روابطهما توثقا مع كر الأيام . فلما ظهرت رواية ويفرلى عقد سكوت شركة سرية مع جون بلانتين واخيه جيمس والناشر الذى كان ينشر له واسمه كونستابل . فنجحت الشركة نجاحاً عظيما وعادت روايات سكوت على مطابع « بلانتين » بربح عظيم . والظاهر ان كل ما فى الأمر ان النجاح الذى أصابه العبقري الايقوسي والفوائد التى أخذ يجنيها بلانتين من ورائه قد ادارت دفة تفكيره الى نواح خطيرة وافسدت عليه توازن عقله . فاخذت

من ثم مطابع « بلانتين » تتراوح بين أيدى القدر وكما تشاء المصادفات . وكان نجاح سكوت العظيم سبباً فى أن تعمى عيون الذين أحاطوا به واشتركوا معه عن ان ترى الخطر الداهم ، إذ كان وهج النجاح معمياً حقاً . ولقد خيل اليهم أن الثروات المكتنزة فى مخ سكوت لا تنفد لها قوة ولا ينضب لها معين ، وانه قادر على أن يزود الناس بكل ما يشتهون من المنتجات الادبية التى ترضى نزعاتهم وميولهم. غير أن الرجل الذى كان من شأنه أن يقوم بكل هذه الأعباء و يعضد كل هذه المشروعات الخطيرة قد ثقل عليه الحمل وناء به . ومن العجيب أن يظل عمل بلانتين وكونستابل مسايراً للنجاح الظاهرى مدة كالتى استطاع سكوت أن يعضدهما فيها . ومضى أهل الشركة يستغلون الثقة بهم وسكوت عاكف على العمل منهمك فيه . فكان نصيبه من الاكباب على العمل مواز فقط لمقدار ما كان يطلب شركاؤه من ثقة الماليين بهم . فلما حلت الكارثة بان لهم عن فرط عظمها ومقدار ثقلها على كواهلهم . وساعد على ذلك أن سنة ١٨٢٥ كانت سنة ازمات مالية عمت الجزر البريطانية من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب . وفر بلانتين واخوه من الميدان وتردى فيه سكوت وحده واذا به مدين من طريق الشركة بمبلغ لا يتجاوز ٠٠٠ ر ١١٧ جنيه انجليزى .

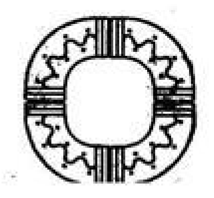
غير ان هذه الكارثة لم تدل على شىء دلالتها على أخلاق الرجل العظيم . فانه لم يتأخر ساعة واحدة ولم يتلكأ برهة . بل اكب على العمل من فوره ليدفع دينه الكبير من عصارة ذهنه . وفر من حوله الشركاء غير المسؤولين و بقى سكوت واحداً فرداً بلا نصير يشق لنفسه الى الفوز طريقا شائكا مملوءا بالمصاعب محفوفا بالملمات ما فيه من أنيس الا ذكريات الماضى تطير احداها تلو الاخرى فى سماء خياله الخصب فلا تزيده الا قوة وصلابة . ولم يأسف سكوت يوما على مافات ، أو أنبه ضميره ساعة على مكرمة أسداها أوهبة اعطاها — بل مضى فى سبيله حتى نضبت عصارة الذهن الأقوى وتحطمت قوى الجسم ، فرقد فى هدأة من متاعبه

الحياة بجوار نهر التويد المنساب فى جريانه انسياب خياله الخصب فوق القراطيس ينفث فيها السحر الحلال .

ولو أن سكوت كان ضعيف النفس فاتر العزيمة اذن لاعلن إفلاسه . ولكنه قال قولته المشهورة : « ما لم أمت سوف أشق طريقى مرة أخرى وسط هذه العاصفة . وانى لن أستدين فلساً واحداً من أى انسان » . وكان ما شاء سكوت . فانه في أربع سنوات استطاع بعمله أن يدفع ٧٠٫٠٠٠ جنيه من دينه العظيم .

وهنا لا يجب أن ننسى أن ننوه لا بصلابة سكوت ولا بقوة عقله ولا بالعادات الاخلاقية الثابتة التى نشأ عليها ، بل بشجاعته التى حولته من العمل لمجرد الفن واللذة الى العمل عند الحاجة ليخرج من المعركة فائزا منتصرا وعلى رأسه إكليل من الفخر لم يحز مثله ممن حمل القلم تحت السماء الدنيا كاتب قبله .

للبحث بقية



روبوت

أو الإنسان الآلي

رأيته واقفاً بالباب منتظراً ... في صورة شابهت تصوير إنسانِ
فقلت: مَن أنت؟ قال: العلم عدَّ أبي ... ولي (الطبيعة) أمٌّ، ثمَّ حيَّاني
وراح يصحبني في مشيةٍ صدقتْ ... فما تعثَّر بل قد جاز حسباني
وهو المكوَّن من سلكٍ ومن خشبٍ ... ومن حديدٍ بمقياسٍ وميزانِ
هو الجماد ولا روحٌ تشعُّ به ... فكيف جاوب تبياني بتبيانِ؟!
فرنَّ في ضحكٍ من حيرتي ومضى ... في سخره جدَّ مغرورٍ وفرحانِ!
وقال: إعلمْ صديقي إنني بشرٌ ... للكهرباء ومن جدٍّ وإلك بنياني!
فكيف تفتنُ في شعر الخيال ولا ... ترى فوائن شعرٍ لي ووجدانِ؟!
أنظر! تأملْ! تجد ما صغت من عجبٍ ... فاق الخيال بإبداعٍ وإحسانِ
الشعر والعلم في مرآي قد جمعا ... للنابه المتسامي حيث يلقاني
وما أساطير (خيمي)[1] حين تنظمها ... أجلُّ روعاً ولا أوهام (يونانِ)
قالوا هو الشعر إحساسٌ وأخيلةٌ ... ألا تراها إذا ناجيت سلطاني؟
ألست تذكر عهداً في الظلام مضى ... وعهد نورٍ بإعجازٍ وعرفانِ؟
ألست تلمح عهداً للنشوء كما ... تطير حلماً إلى عهد السبرمانِ؟
ألا تجيش بأحلامٍ منوعةٍ ... وبالعواطف ألواناً بأزمانِ؟
ألا تحسُّ بدنيا لن يكون بها ... إلا التسامي بجهودٍ وإيمانِ؟

---

(١) اسم مصر القديمة

أنظر فما نحن في عصر تقوم به ... بدائع العلم في نفع كإخوان ؟
حتى الهواء غدا للناس مزرعة ... وفي الصناعات سحر جد فتان !
وفي الأثير حياة كأنها عجب ... كأنما ساقت جنات (رضوان) !
تموج فيه مسرات الحياة بلا ... حد ، وتسبح فيه روح ديان !
وليس وقفاً على شعب يخص به ... ولا على ملة من دون أديان
أنظر صديقي ! تأمل ! لا تقل أبداً ... إن الحضارة ليست وحي فنان
لا تصغ حقاً إلى من طالما عبثوا ... بالفن ما بين محموم وسكران
يموهون بألفاظ منمقة ... على الحياة ، وكل غافل هاني
ويحسبون التنائي عن حقائقها ... فناً ، وفي العلم خصماً ، مثل عميان
وما دروا خير ما توحي الثقافة في ... عصر يبدل أكواناً بأكوان !
وعندما قمت من نومي على خجل ... جمات نظمي هذا بعض قرباني
فإن أبى لي اصطحاباً من أخص بهم ... شعري فحسبي أن أعليت ديواني
وليمتلك أدب الترصيع مزدهياً ... من شاء وليبق لي وحيي وقرآني
إني رضيت جمال العلم لي قبساً ... إن دان غيري بنجواه لشيطان !

أبو شادي

اثر المناخ

فى مستقبل الامم

مترجمة عن مقال بقلم الزوورث هونتنجتون

تتمة ما نشر فى عدد ديسمبر الماضى

إختتمنا المقال الاول من هذا البحث بهذه العبارات : — « هذه اعتبارات تنطق حقائقها بانها أكثر انطباقا على قياس المنطق من أية اعتبارات أخر. ولكن ما ذا نعرف عن الماضى ؟ اليس نشوء المدنيات القديمة فى مناطق تقرب حدودها من خطوط العرض السفلى دليلا قويا ينقض النظرية المناخية من اساسها »؟ ثم قلنا بأن هذا البحث سوف يدور حول هذا السؤال العلمى الخطير.

اما الاستاذ هونتنجتون فيعود ببحثه هذا ورده على هذا الاعتراض الخطير الى علم الانثروبولوجيا — أى الانسان — دون غيره من علوم الحياة .

يقول . افرض انك انسان همجى على الفطرة الاولى عارى الجسد ومن غير أن تعرف كيف تولد النار لتنتفع بها ، وانك لا سكن لك تأوى اليه ، وان مثلك فى كل هذه الاشياء مثل الحيوانات السائمة . لا جرم انك فى تلك الحال ترغب فى ذلك المناخ الذى عرفنا من قبل أن حده الافضل يتراوح بين الدرجتين الاحتراريتين ٦٠ شتاء و ٨٠ صيفا بميزان فارنهيت ، وأن تكون الزوابع الجوية على كثرة كافية لان تشبع الهواء برطوبة معتدلة وتغيرات فصولية متتابعة .

يمكننا الآن ان نتساءل عما يمكن ان يحدث اذا اتفق أن يظهر فرد أو جماعة خصت بقدر من النبوغ حازته بالنشوء والتطور على مدى عدة اجيال متتابعة ، حتى انتهى بها ذلك الانقلاب الى استكشاف النار وكيفية توليدها ؟ لا

جرم أن برودة الطقس مع وجود النار تفقد كثيراً من قسوتها وما تسبب من انهاك ومتاعب . وبهذا يزداد غشيان البقاع التى هى اكثر برودة واشد جفافا من المساحة متى تقطنها الجماعة . أما فى البقاع التى هي اكثر دفئاً ورطوبة ، فيكون الامر على العكس من ذلك ، لان الهمجى فيها يكون اقل احتياجاً الى استعمال النار لانها لا تكون من الاشياء المرغوب فيها كثيراً ، بل أن النار فى طقس حار تكون من أبعث الاشياء على الضجر والتململ .

ان استعمال النار فى الوقت المناسب لا بد من أن يؤدى الى اختراعات واستكشافات أخر . فان الحوادث الاتفاقية والاختبارات التى تقع خلال كل يوم لا بد من ان تنتهى بان تعلم الهمج كيف يمكنهم أن يصوروا بها اسلحة خشبية يتخذونها تقية من الحيوانات وان ينضجوا بها مواد لا يمكن أن تتخذ طعاما من غير اذ تكون كريهة الطعم او عسرة الهضم او غير مستطاع قضمها ومضغها . اذن فلا بد من أن يكون استكشاف النار قد وجه انتباه الانسان الى اختراعات ما ، كما كان عاملا فى أن يزداد عدد الناس فى بقاع مخصوصة لانهم يجدون طعاما أزيد عن الحاجة فى تلك البقاع . فاذا فرضنا ان الهمج فى حالاتهم الفطرية الاولى كانوا جميعاً على نسبة واحدة من الكفايات والمواهب اذن لتعين علينا ان نعتقد بأن اكبر نسبة من التقدم المدنى وازدياد عدد النسمات ، لا بد من أن يكون قد حدث فى البقاع التى هى أشد برودة وجفافا من المنطقة المأهولة من الأرض . وفي مثل هذه البقاع تكون النار من الاشياء التى يحتاج اليها ، كما أنه من السهل توليدها ، فى حين انك تجد ان الرغبة فيها في البقاع التى هى اكثر دفئا ورطوبة كانت أقل وتوليدها أصعب . وعلى ذلك نقضى بان فن توليد النار ، وهو فى معتقدنا اكبر المستكشفات الفطرية الاولى اثراً في حياة الانسان ، لا يمكن الا ان يكون قد اثر فى « الحد المناخى الافضل » ومن ثم بدأت مراكز التقدم المدنى الانسانى تبتعد شيئاً فشيئاً عن خط الاستواء الى بقاع اكثر برودة ، ولكن فى دائرة المنطقة الارضية التى عرفت بالانسان فى العصور الاولى

ومنذ ذلك الحين توالت المخترعات والمستكشفات كبيرة وصغيرة ، كما أبانه عن ذلك الاستاذ «فيلان» وكان لكل منها أثر مشابه لاثر توليد النار ، على اختلاف في الكيف والمقدار . ومن أ كثر الاشياء احتمالا ، بل نقول من الاشياء التى نرجحها تغليبا انه وجدت جماعة من الجماعات في أزمان بعيدة جدا عن الازمان التى ولدت فيها النار ، استطاعت بمهارتها ان تدرك ان جلود الحيوانات اذا اتشح بها كانت من اكثر الاشياء المرغوب فيها في طقس تشتد برودته . اذن فلا بد من أن تكون فكرة الاكتساء ، على ما فيها من البساطة ، قد زودت الناس بعامل جعلهم يشعرون بالرظاء ومكنهم من أن يحتفظوا بصحتهم فى بقاع باردة لا يمكن البقاء فيها بغير كساء . وهذا الاستكشاف بدوره لا بد من أن يكون قد جر الى استكشافات أخرى . لان الرغبة فى الحصول على كساء احسن صنفا او اقل نفقات او الرغبة فى الحصول على اكسية اجمل شكلا أو ابعث على الدفء ؛ لا بد من أن يكون قد اوقع الانسان الهمجى فى مشكلات فكر من ثم فى ان يستقوى عليها وان يجد لها حلا .

اما اختراع المآوى الصناعية مصنوعة من جلود الحيوانات أو اغصان الاشجار او غير ذلك من المواد فكانت ذات أثر لا يقل عن آثار ما أسلفنا القول فيه من مخترعات . ففى خلال الخطا التى خطاها الانسان نحو التقدم والارتقاء كانت هذه المآوى من افعل الاشياء على زيادة مقدار المساحات الأرضية التى استطاع الانسان فيها أن يحتمل قساوة البرد خلال فصل الشتاء . وفضلا عن هذا فانها كانت باعثا قويا على أحياء نزعة الاختراع فى الفكر الانسانى وازكائها بالموحيات والتصورات .

سأل احد الهمج — « ان اكواخنا التى نصنعها من الجلد تفسد وتتحلل ، فكيف يمكننا أن نحفظها من الفساد ؟ هنا ثقوب ينفذ منها المطر فيغشى أجسامنا .

كيف يمكن ان نتقى هذه الثقوب ؟ اذا اشعلنا داخل الكوخ ناراً فانها تهيج أعيننا وتبعث فيها الدموع ، فضلا عن انها تحرق الكوخ وتدمره تدميراً . كيف نستطيع أن ندفأ وفى الوقت ذاته نتقى هذه المخاطر ؟ »

وانك لن تجد من بين العديد الوافر من المخترعات التى انجبتها عبقرية الانسان ، اشكالا كان اكثر إحياء لنزعة التفكير الجدى من تلك المشكلات التى صادفته إذ بدأ يفكر في وضع القواعد الاولية فى هندسة البناء . وعلى هذا نقضى بان مشكلات الحياة كانت تزداد تعقيدا ، وانها كانت اشد تأثيراً فى صد تيار التقدم ، كلما انتقل الانسان من بقاع دافئة الى أخرى باردة .

— ٥ —

والآن يجب علينا ان نلاحظ وجها آخر من وجوه الاشكالات التى صادفت الانسان فى تقدمه نحو الاقطار الباردة من مناطق الارض . فان توليد النار واستكشاف طرق الاكتساء و بناء المآوى قد زود الانسان الاول بعوامل مكنته من أن يهاجر الى اقطار أشد برودة ، ولكنها فى الوقت ذاته قد دفعته الى منزعين آخرين من منازع التقدم لا يجب أن نهمل الكلام فيهما . فقد عرفنا من قبل أن درجة معتدلة من درجات التغاير المناخى عامل من اثمن العوامل فى حفظ الصحة والنشاط طبيعيا وعقليا . فاذا لاحظنا أن قابلية التغاير المناخى تزداد بالانتقال من طقس حار الى آخر بارد ، أيقنا بان السلالات الاولى التى كانت أقدر على الانتفاع بالمخترعات التى أدى اليها فن توليد النار والاكتساء واقامة المآوى ، هى التى كانت اكثر قدرة من غيرها على الهجرة الى اقطار أشد برودة . و بذلك تتحسن صحتهم وتزداد قدرتهم على العمل بما ينبعث فيهم من نشاط ، و يكونون اكثر مقدرة على التطلع الى غايات لا يتطلع اليها غيرهم ، بل ينزعون الى التفكير فى مخترعات أخرى ، وفى أوجه من التقدم والارتقاء لا ينزع اليها شىء من

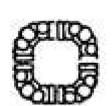
السلالات الأخرى .

وهنالك وجه آخر من الأمر لا يجدر بنا اغفاله . ذلك هو الحاجة الى بعد النظر والتوفير والاقتصاد والعناية بوضع الخطط ، وغير ذلك من الضرورات التى تنشأ قسراً بحكم المهاجرة الى اقطار يكون من اللازم على الانسان ان يتخذ افيها عدته لمواجهة الصعاب التى تنشأ عن حدوث فصول مناخية يشتد فيها الجفاف أو يقرس البرد . ما هي كمية الطعام التى تلزمنا لقضاء حاجة الشتاء ؟ واى نوع من الحبوب أو الجذور او غير ذلك من أنواع الطعام اكثر قابلية للبقاء بغير فساد من غيرها ؟ كيف يمكن أن نحتفظ بموادنا الغذائية من غائلة الحشرات والحيوانات القارضة وغيرنا من بنى الانسان وغير ذلك من الاعداء ؟ وماذا نفعل بالوقود ؟ وهل لدينا من الثياب التى نحتاج اليها قدراً كافياً . ومن اى نوع نكتسى ؟ هل نأكل كل ما نشعر باننا فى حاجة اليه من الطعام كل يوم ؛ أم يجب علينا أن لا نأكل الى حد الشبع واقل من الحاجة حتى تكفى المؤونة من الغذاء حتى يأتى فصل الدفء والحرارة ؟ وكيف يمكننا أن نستقوى على مؤثرات الفصول البعيدة عن الاعتدال ؟ هذه الاسئلة ومئات غيرها مما يجرى مجراها هى طابع الاسئلة التى قامت فى عقول اولئك الذين عاشوا فى بقاع يختلف فيها الصيف عن الشتاء اختلافا كبيراً . وهنا نتساءل اية من العوائق التى عمل الانسان فى سبيل الاستقواء عليها وتذليلها كانت أشد من هذه أثراً وابلغ فعلا ؟ واى البواعث كانت فعل فى تحريك مراكز المدنية وانتقالها الى اقطار أشد برودة من تلك المخترعات الضرورية التى وقع عليها الانسان الاول وساعدته على أن يعيش باستمرار فى بقاع يقرس فيها برد الشتاء على الدوام ؟

لا جرم أن هذه المخترعات الفطرية ، على الرغم من ظهورها لأعيننا بمظهر الغرارة والسذاجة ، كانت على كل الاحتمالات ، اصعب تذليلا ، بل اكثر تنشيئاً واشد ضرورة من أى من المخترعات الحديثة على ضخامتها وعظم قدرها .

ان سلسلة المخترعات التى بدأت بتوليد النار والكساء واتخاذ المآوى وحفظ المواد الغذائية قد أخذت ترتقى وتتطور تطورا بطيئاً متوازن الخطا منذ ذلك العهد العهيد الى الآن . على أن اختراع مداخن التدفئة التى نراها فى البيوت فى المناطق الباردة ليس الا تطوراً جديداً عن المخترع القديم . فمنذ أزمان بعيدة عمد الناس الى اشعال النار داخل بيوتهم ، ولكن تراكم الدخان الذى يتولد عنها كان من أبعث الاشياء على الألم والامتعاض . ولما كان من الضرورى للانسان أن يختار بين احد امرين فاما ان يوقد ناراً وأما أن يتعرض لقر البرد الشديد ؛ استطعنا ان نصور لانفسنا مقدار ما كان للمخترعات القديمة فى المدنية الحديثة من أثر في زيادة الرفاهية والجمال . ولا يغيب عنا أن إضاءة المنازل بمشاعل غير محجوبة نارها بزجاج ؛ يعطل تقدم العلوم كما يفقد الانسان القدرة على الاشتغال بالفنون الضرورية كفن الكتابة أو التصوير او الموسيقى . وكذلك شبابيك النوافذ فانها تكاد تكون معدومة النفع لأنها اذا اغلقت تركت المنزل فى ظلام حالك وتملؤه بالدخان اذا اشعلت داخله نار خلال فصل البرد . ومثل هذه الحالات يحول غالباً عن أن يتمتع الانسان بتلك الفترات السعيدة التى يتمتع بها الآن فى فصل الشتاء اهل المدنية الحديثة .

وكما استقوى الانسان على البرد بالنار ، فمن الجائز جداً أن يستقوى على الحرارة باختراع يخترعه في المستقبل البعيد . وعلى ذلك يمكن أن تنتقل مراكز الحضارة مرة اخرى الى الاقطار الحارة .



حزب الافندية

ادر عينيك تجد مقاعد المقاهى غاصة بالشبان حيث يعرفون كيف يقتلون أوقاتهم قتلا ذريعا . هؤلاء هم حضرات العاطلين فى القطر المصرى الذين نالوا من العلم شيئاً لايؤهلهم لشيء مجد ولذلك ينتظر كل منهم دوره للخدمة الحكومية بفارغ الصبر وجل همه منحصر فى السعى لايجاد واسطة تساعده على قبض مرتب وهو هنى البال ناعمه لايهتم اذا أثمر عمله أم لم يثمر ولا يبحث فيما اذا كان وجوده ضرورى لخدمة الدولة أم مضر بها وهو الغالب

أفهم ان العطلة تتسبب فى الغرب عن الضائقة المالية التى تجبر العمال على البطالة امدا قليلا أو كثيرا من الزمن يواجهون فيه العسر بانواعه ولذلك تحركوا هناك لضمان معاش عائلاتهم ونشأت عن حركاتهم هذه نقابات العمال التى نمت بدورها فاصبحت احزابا لها كلمة مسموعة يخشى الرأسماليون نفوذها

أما هنا ، في بلاد العجائب ، فانك تجد حزب الافندية مفكك الاوصال لاتجمع اعضاءه جامعة قوية وليس هناك انسجام بين أفراده . وان كان لهم صرخة حرب فتلك « الى المحسوبية » الامر الذى يحط من عزة أنفسهم اذا كان لهم شيء يسمى عزة نفس . هؤلاء الافندية لايبحثون عن عمل كما هو الحال فى الغرب بل يتخيلون ان عملهم منحصر فى قبض الرواتب الكبيرة نسبيا والجلوس على المكاتب للقيام باقل عمل ممكن ـ وهذا اذا اضطروا لركوب هذا المركب الخشن ـ فاذا لم تيسر لهم الظروف ذلك فهم طفيليات تتعلق باقربائها وانسبائها لامتصاص دماء تعب في ايجادها هؤلاء

لا يستحى الواحد منهم أن يكون عالة على غيره (حفظا لكرامته) ناسيا ان الاتكال على الغير والعمل لخطف اللقمة التى اتعب نفسه ذلك الغير فى تحصيلها

ليس فيه أثر للكرامة ولا لعزة النفس وليس الذنب بمنصب على حزب الافندية وحده بل يقع جزء كبير من المسئولية على حزب المغفلين الذين يسلمون بنظرية (الكرامة الشخصية وعزة النفس) الى آخر ماهنالك من السفاسف المماثلة لذلك

لست أدرى بالضبط لم لا يطرد الاب ابنه اذا بلغ سن الرشد وكان قادرا على العمل بدلا من ان يحميه كما يفعل ظنا منه ان فى ذلك حفظا لماء وجهه وصونا لسمعة العائلة ؟ كذلك لست اعلم لماذا تظل الحكومة وهي المسيطرة على المعارف متبعةسياسة التعليم الخرقاء التى وضعت لاسباب معلومة منذ عشرات من السنين ؟ فبرامج التعليم ، رغم التغييرات الصورية التى حدثت فيه أخيرا فقط ، لبرامج مزرية يجب أن تقلب رأسا على عقب بعد ان تبدل وجها لانه لافائدة من ترميم ماثبت ان أساسه مختل وواه

ان عدد المنتمين لحزب الافندية آخذ فى الازدياد سنة بعد سنة ولست أدرى ماهي خطة الحكومة - اذا كان لها خطة - لمكافحة ذلك الخطر المادى والاخلاق معا فان أولئك النفر هم جهودضائعةعلى الامةيدفعهم حبهم (لحفظ كرامتهم) الى التستر عند ارتكاب الاعمال الشائنة بحثا وراء الرزق . فهل فكرت الحكومة فى توسيع ادارتها كى توجد عملا لاكثر عدد ممكن لاولئك المتذمرين ؟

ولا أجسرأن أقول ان الوقت الذى لا يمكن فيه توسيع الادارات الحكومية لاشك آت فان فى امكان الحكومة ان تستغنى الآن عن ثلثى موظفيها دون أن تتأخر اعمالها قيدشعره بل أزيد على ماسبق بان كثرة عدد المستخدمين والموظفين وكبار الموظفين فى المصالح الحكومية قد كثر معه الاخذ والرد. فبكثرة المستخدمين وغيرهم كثر عدد المشتغلين بالحسابات وكثر عدد موظفى أقلام المستخدمين وازدادت الغرف والاثاثات والخدمة ، وبالطبع نتج أيضا ازدياد موظفى الاقلام الاخرى كالتوريدات والقيودات

إن أول ما يتبادر لذهن رئيس القلم هـو الشكوى من قلة المستخدمين وهو يرمي بذلك لتكبير قلمه ليكون قسما ولا يكتفي اذا وصل الى ذلك الهدف بل يشتكي ويشتكي حتى يصبح على رأس مصلحة تحوى المئات من الموظفين والمكاتب والخدم وتستهلك اطنانا عديدة من الاوراق والاقلام ليتمكن كل موظف من اثبات انه يعمل وذلك بتسويد عدة صفحات بكلام غير مفيد

يقولون انهم عازمون على التوفير ولكن كيف يباح لهم توفير موظف واحد من قلم الحسابات فى حين ان عدد الموظفين لم ينقص الا واحدا من قلم الحسابات يحيلون أعماله التى لا تذكر من حيث القيمة ـ ولكنها ذات كمية ـ الى أخوانه الآخرين؟فهل يرضى رئيس قلم الحسابات ان يرأس عشرة أنفس فى حين ان رئيس السكرتارية لديه اثنى عشر موظفا ؟ ومعنى هذا في عرف الدواوين أن شغل الثانى اهم من عمل الاول ومسئوليته اكبر ولذلك فهو أحق بالترقى

يجب أن تقوم الحكومة بعملية جراحية مؤلمة لاستئصال هذه البيروقراطية (التحكم المكتبي) وما عليها الا استئصال الفخفخة الكاذبة والالقاب الضخمة فلتكن كل ادارة حالية وكل قسم قلما ولتكن كل مصلحة ادارة ولتدمج كل وزارتين أو ثلاثة معا في وزارة واحدة ولتحول كل من تستغنى عنهم من الموظفين للتعليم فى المدارس الثانوية والابتدائية والاولية حتى ينقرض هذا الجيل فيكون عملها بالاقل منتجا ولو أنه منهك لمالية الدولة كما هو الحال فى الوقت الحاضر مع فارق هو ان الحالة الحاضرة ليست مجدية بالمرة . وربما يتشدق البعض قائلين ان المدرس يجب أن يلم بمبادىء التربية وهذا الاعتراض وجيه. فما الذى يضر الحكومة اذا وضعت على رأس كل مدرسة ناظرا من خريجى المعلمين يجبر على تدريس المواد التى يحتاج اليها المدرسون ثم يعقد لهم بعد ذلك امتحانا فى كل موضوع ؟

أريد أن اسأل اذا كان وجود مهندس للرى واحد فى كل مركز كاف للقيام باعمال مهندسين اذا وضع تحت أمره موتوسيكلا يسوقه خادم أم لا؟ وهل يكفى

لكل مركز طبيب. وغير هؤلاء اذا سهلت الحكومة لهم طرق الانتقال وفى امكانها أن تفعل ذلك مع توفير المصاريف التى تتكبدها الآن بلا فائدة. وانك ترى الموظفين صغارهم وكبارهم ينتقلون فى الارياف وهم يتمايلون زهوا وعجبا وقد ساعد على ذلك استحالة انتقالهم بسرعة من مكان الى آخر بالمبلغ الذى تفرضه عليهم الحكومة ـ رغبة فى الاقتصاد ـ ولذا تجدهم ينهون عمل اليوم فى يومين أو اكثر مع ان وضع موتوسيكلا تحت أمركل منهم يجعله ينهى عمل اليوم فى بضع ساعات. واعتقد ان وضع كميات من البنزين فى « النقطة » او « المركز » يساعد على تخفيف المصاريف وعلى مراقبة حركاتهم بطريقة اكثر فائدة من المراقبين والمفتشين والمساعدين ألخ. هذا بشرط أن لاتفرض الحكومة على الواحد منهم قطع مائة ألف ميل يوميا مع استهلاك لتر من البنزين

حقيقة ان عزة النفس التى يتمسك بها أعضاء حزب الافندية اذا أضيفت الى العطف القسرى الذى يظهره الاقارب لاولئك الكسالى يعود الى تربيتنا الاخلاقية بدرجة كبيرة ولكن الملاجىء الاميرية التى تفتحها الحكومة على مصراعيها هي اكبر محرض على هـذا الكسل فعليها أن تبدأ بالاصلاح ولا تفتح ابواب دواوينها لاقارب المتنفذين لغير سبب وأن تحول تيار الاستخدام الحكومى الحالى الى الاصلاح عن طريق نشر التعليم. لان عدد أولئك المتعلمين سيزداد كثيرا فى المستقبل ولله الحمـد الذى لايحمد على مكروه سواء تحول الامتيازات الاجنبية دون التحتيم على المحلات الاجنبية باختيار هؤلاء بدلا ممن هم من أمثالهم من موظفيها الاجانب

وهنا يجب أن لايفوتنا ذكر اليد التى يسديها بنك مصر لشباب الامة فيدربهم في منشئاته على العمل المفيد وبالرغم عن انهـم لم ينالوا قسطا وافرا من التربية الراقية، فان البنك قد أعد منهم كمية صالحة يمكن الاعتماد عليها لدرجات متفاوتة من الثقة

ابو الوفا

محاضرات

« فى الجامعة المصرية »

كانا نعلم ان هناك محاضرات قيمة تلقى فى الجامعة المصرية من قبل أولئك الاساتذة الذين جابوا من الخارج لتزويد الناشئة بالنافع المفيد ، ثم ليكون سعيهم أو مجهودهم كأساس متين تنهض على دعائمه الجامعة الاميرية .

وكلنا نعلم ان هذه المحاضرات تكلف ميزانية الجامعة ثمناً باهظاً .

ثم كانا نعلم مافاه به حضرة العلامة رئيسها السابق - والمهيمن على ادارة المعارف اليوم — من أن الجامعة ستكون للنهضة موئلا تزودها بالنافع المفيد وأن مجهودها لن يقتصر على مافى داخل جدران الجامعة بل سيتعداه الى خارجها بمؤلفات مفيدة تكون للنهضة غذاء يفيدها لادراك المثل الأعلى باقرب مايكون من وقت وباقصى مايكون من سرعة .

وكلنا نعلم خبر تلك الضجات والتذمرات التى اثيرت ومازالت تثار من قبل طلاب الجامعة حول مايلقى على مسامعهم من محاضرات هى من برنامج دراستهم وهم مطالبون باستيعاب مافيهامن نظريات ومعان وأدلة واستنتاجات بلغات مازالوا يجهلونها أو مازالوا مبتدئين بها بحيث لا يمكنهم ماعندهم من اطلاع ضئيل عليها من فهمها وادراك مغزاها واستساغة مافيها من مواد ونظريات

وكلنا تقريباً قد اطلعنا على ماأدلى به من بايديهم زمام أمور الجامعة بشأن هذه المحاضرات التى تلقى بلغات اجنبية ومن قبل اساتذة اجانب .

وما ادلوا به يتلخص فى أن هؤلاء الاساتذة المحاضرين الذين جلبوا من الخارج هم من أولئك الباحثين الذين لهم فى مضمار البحث جهاد محمود وتاريخ مجيد وأثر مشهود وان الجامعة في بدء تكوينها تحتاج الى ادمغة مفكرة كادمغة هؤلاء المفكرين والى عمل منتج كأعمال هؤلاء العاملين وان ليس للعلم من وطن وانهم لاينظرون

الى وطنهم بل الى أدمغتهم وماضي حياتهم ولا يهمهم من جنسيتهم شيئاً بل انما يهمهم مكانتهم من البحث والعلم !!

ولكن الا يهمهم شأن أولئك التلامذة الذين ليس بمقدورهم ان يسيروا مع أولئك الفطاحل جنباً لجنب لا لقلة فى النبوغ أو لقصور في الادراك بل الجهل باللغة وهو العامل الذى ان فقد ضاعت الفائدة ؟

وليس من شأننا ان نفند أقوالهم وان نظهر مافيها من حق مشهود وزلل ظاهر بل شأننا والمحاضرات التى تلقى والتى لم تلق الا بعد مابذل فى سبيل القائها من ثمن هو لاشك باهظ . أجل شأننا ان نلقى على هذه المحاضرات نظرة أو نظرات نرى هل تنتج من فائدة تساوى مابذل في سبيلها من ثمن !

المحاضر أو ان شئت فقل الاستاذ الأجنبى من واجبه أن يلقى محاضراته لقاء مايتناول من أجر . أما ان كان تلاميذه من الضعف بحيث لا يفقهون له قولا فما الذنب بذنبه وما هو بعالم لغة ، إن هو الا استاذ جامعة مربوط بعقد سنوى لالقاء محاضرات معدودة فى درس مرسوم وسيان عنده ان استوعبت محاضراته من المستمعين أولم تستوعب مادام هو قد قام بما عليه من واجب

وانت ترى اذن ان هناك « عقدة » معقدة من جميع الوجوه ذلك :

(١) لأن من بأيديهم « ادارة » الجامعة مازالوا يتمسكون بآرائهم وما أراؤهم الا ان ليس للجامعة من حياة الا بوجود الاساتذة المجلوبين من الخارج

(٢) ولأن الأساتذة المجلوبين كل له لغته وما عليه الا أن يلقى محاضراته بلغة أجنبية لانه لايحسن اللغة العربية وما من شيء يحتم عليهم الالقاء بها .

ب جلهم أو اكثرهم من الذين لايحسنون تلك اللغات الأجنبية المتباينة لدرجة تمكنهم من فهم محاضرات عالية تلقى على مسامعهم بها .

وهذه العقدة المعقدة ليس هناك من شيء يحلها الا أمر واحد ولكن

باللأسف قد أهمل هـذا الأمر ولا يزال مهملا مع أنه قد مر على افتتاح هـذا المعهد وجلب الاساتذة من الخارج له مدة هى ليست قليلة !!

وما هو هـذا « الحل » ان لم تكن الترجمة والترجمة بعينها ؟؟

محاضرات تـكلف الميزانية ثمناً باهظاً ، تلقى على المسامع فتذهب ادراج الرياح وما يستوعب منها الا قليل لايوازى مادفع في سبيله من ثمن فادح ... أليس هـذا اسراف وسعى غير منتج ؟؟؟

كثيرة هى الشكايات والتذمرات التى أثارها جماعات الطلاب على صفحات الجرائد فذهبت ادراج الرياح كما ذهبت وما زالت تذهب تلك المحاضرات . وأى فائدة ترجى من محاضرات تلقى فلا تجد لها من مدرك أو حاضر

والى متى ستظل هذه المحاضرات تتلقفها ذرات الهواء هيناً ولا تستوعبها الآذان هنيئاً مريئاً ؟؟؟ والى متى ستظل ذرات الهواء متنعمة على حساب الميزانية وأسبق من عقول الطلاب على التقاط أو تبديد تلك المحاضرات ؟؟

الحق انا لا ندرى ولعل المنجم ايضاً لايدرى !!

مايصرف في سبيل جلب الاساتذة من الخارج ومايصرف لهم من مرتبات عالية ومـكافآت غزيرة كل ذلك هين وفى محله ! ! ! أما مايصرف فى سبيل « الترجمة » لحل العقدة المعقدة فهو فى نظر أولى الأمر تبذير واسراف ؟؟؟

اين هى المؤلفات القيمة التى أظهرتها الجامعة فى عالم التأليف والـكتب لتـكون للنهضة غذاء مفيداً كما سبق فوعد فأعان الملأ حضرة مديرها السابق والمهيمن على ادارة المعارف اليوم ؟؟؟

قد اعد غريباً ولـكونى غريباً — وما أنا بغريب — قد يعد بحثى هذا عن الجامعة تطفلا — ولـكنه تطفل مع حسن نية — وما من التطفل في شيء ان سألت عن هذه المؤلفات مادمت مخلصاً وما دمت انتمى الى قطر مجاور لهـذه الأقطار التى تجل الكنانة وترقب نهضتها وترجو لها كل نفع وخير

الحق ان المحاضرات التى تلقى لو كانت تلتقط فتترجم فتطبع فتنشر لكان من وراء ذلك للطلاب أنفسهم نفع عظيم وللنهضة غذاء مفيد وللأقطار المجاورة الشقيقة فائدة عظمى

فهل آن لمن بيدهم زمام الأمور أن يقدروا أهمية ترجمة تلك المحاضرات التى تلقى بلغات اجنبية فتذهب مع الهواء هل آن لهم أن يقدروا فائدة ترجمتها ونشرها بالعربية للطلاب خاصة وللجمهور عامة ؟؟؟

أما ان ظلوا معرضين ففيالضياع أموال تكال وأوقات تضيع هباءآ منثوراً

الحق أن تمهيد فهم المحاضرات الى الطلاب أهم بكثير من جلب المحاضرين والحق ان ترجمتها اهم بكثير من التفتيش على المحاضرين وجلبهم من الخارج دون اعارة عدم ادراكهم لغة البلاد أقل أهمية وترك مايلقونه يضيع ضياعا !!

فلنذكر أن مايبذل فى سبيل الترجمة لايذهب سدى بل يعوض اشياء مما يكون قدر بذر ولم ينتج خيراً . ولنذكر ان الترجمة والنشر يحصران اشياء قيمة هو مابذل في سبيلها من ثمن باهظ يدعو الى حصرها والاحتفاظ بهالمنفعة النشء الحاضر والمقبل . ولنذكر ان مايبذر فى هذا السبيل مهما كان شأنه فهو يعوض الخسارة وان غيابه مما يجعل الخسارة فادحة جداً .

ولنذكر ان ترجمة المحاضرات واذاعتها والحالة هـذه — والعقدة معقدة — شيء ضرورى بمقدار ماهو ضرورى القاء المحاضرات فى معهد علمى راق . . . ومن يذكر أن الترجمة اسراف ، أو من يقول انها غير لازمة ، اما ان يكون مخادعا او مراوغا أو غبياً اومتجاهلا ، نعوذ بالله من ذلك !!

ولقد كان على مانعلم لهذا المعهد مجلة راقية تنشر أغلب محاضراته ولكن السبب مازلنا نجهله تقهقرت هـذه المجلة عوضاً عن أن تسير وسنة التقدم حتى اصبحت فى خبر كان .

وقد كنا نرجو من بعض الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية أن تعطى محاضرات أولئك الاساتذة العامة التى يلقونها بين الغنية والغنية شيئاً من العناية والاهمية : يلخصونها بامانة وصدق وينشرونها على الملأ لنفع الجمهور ولكن

تلك المحاضرات القيمة كثيراً مافاتت القراءلالشيء الالاهمال الصحف والمجلات اياها ولعدم اعطائها الشيءالنافع المفيدحقا مايستحقه من عناية .ولعمرى ما لذى ستخسره ادارة الجامعة من ترجمة هذه المحاضرات ونشرها .

وما قولها ان ليس ثمة خسارة فيهذا المشروع وما قولها ان الربح كل الربح فيه !! فهناك نهضة وهناك نفوس مشرئبة و اعناق متطاولة وأفئدة ظمآنة تريد أن تروى ظمأها من النافع المفيد ، تميل شمالا و يميناً فلا نجد ماتطلب ، ولا تقع على ماتريد ، هـذه النفوس أن وقع بين أيديها من شيء قيم « كمحاضرات جامعة » لاتتوانى عن أن تقبل عليـه فتتلقفه وتدفع فى سبيله ثمناً باهظـاً ،

فهل لهذا المعهد ان ينتفع من هذه الظروف فينفع و يفيد ؟

وهل له أن يقدر أهمية الترجمة فيعطيها ماتستحق من عناية وما يتطلبه الامر من مجهود فتخرج المشروع بالعزم من حيز الفكر الى حيز الوجود ؟

وما نظن أن أرض مصر قد أقفرت من المترجمين الذين يحسنون الترجمة والتعريب وما نظن ان أرض الكنانه قد أقفرت من وأولئك الذين يحسنون الترجمة عنها .

فهل لادارة الجامعة أن تجمع عدداً من أبناء البلاد المقتدرين ، وقد تجد مطلوبها من بين العاطلين ، وهم كثيرون ، فتربطهم بادارة رقيبة فتنتفع من مجهودهم الذى سيعود عليها وعلى النهضة بخير ، و يدر عليها بمال يعوضها ماقد تنفقه فى هذه السبيل .

لعمرى فى هذه النهضة وفي هذا العصر المنتج يجب أن لايقتصر سعى معهد كهذا على تثقيف مائة أو مئتين من الطلاب بل يجب أن يكون بمكان معمل عظيم تنتظر منتجاته ألوف من الخلق ظمآنه متشوقة لله ولازدياد العلم

نحن نرجو من هذا المعهد — كما يرجو أصحابه — شيئاً أكثر مما يطلب من معهد عادى فى محيط تمت له وسائل النهوض ، ولهذا انما نـكل اليه أمر تزويد النهضة عامة بالنافع المفيد ، فهل من سميع ، وهل من مجيب ؟؟

عـكا « أبو النجا »

الفائدة والربا

يقول الفقهاء فى تعريف الربا انه « فضل مال بلا مقابل فى معاوضة مال بمال » ويستندون على جملة يسمونها حديثا هى « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل فمن زاد او زاد فقد اربى الآخذ والمعطى سواء » واخرى مثلها هى « استعمل النبى رجلا على خيبر فجاء بتمر جنيب فقال أكل تمر خيبر هكذا فقال انا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة فقال لا تفعل بع الجميع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا »

فاولا تعريف الفقهاء ليس صحيحا من الوجهتين المنطقية والاقتصادية . فهل يمكن حدوث تعامل بلا مقابل ؟ الست تأخذ منى المال لكى تفعل به شيئاً؟ ولولا المال الذى تأخذه منى لما أمكنك قضاء حاجتك، فاذن انت تأخذ منى المال لتستفيد والحالة هذه يكون لفضل مالي مقابل . وحتى لو انك اخذت منى مالا لتلعب به بين آن وآخر ثم تخفيه فى صندوقك فانك تشبع بما لى غريزة الجشع المتأصلة فيك فالفضل الذى آخذه لاشبع به جوعى له مقابل هو اشباع جشعك ثم ما المعنى من لفظة مال ؟ اليس المنزل مال والنقود مال والارض الزراعية مال والمحاصيل مال ؟ فكيف اذن تتقاضى عن استبدال نوع من المال بنوع آخر ولو نتج عن ذلك ربح مع اننا نشدد فى عدم استبدال نفس النوع بربح ؟ وهل اذا سلمتك مبلغا فضة واخذته بنكنوتا مع الربح أكون مخطئاً واذ سلمتك مبلغا وسكنت منزلك بايجار بخس اكون مخطئاً ، واذا كانت لديك نخلة تطرح تمرا جيدا ولدى نخلة تطرح تمرا سيئاً بينما تحتاج انت للنوع الردىء لتعلف به حيواناتك فهل نخطىء اذا بادلتك الصاعين بصاع ؟ وهل اذا اردت شراء سوار من الذهب اكون مجبرة على دفع الثمن مكوكة أو فضة لاننى اخطىء لو دفعته جنيهات ذهبية ؟

اظننى لا آتى بشىء جديد اذا قررت بان حضرات الفقهاء لم يفهموا ما قالوه ذلك لانهم لم يدرسوا حتى ولا مبادىء الاقتصاد ولكن الذي اتعجب منه هو سقم استنتاجهم . فهل لم يدرسوا مبادىء المنطق ايضا ؟

المال جهد محفوظ يتشكل بصور مختلفة . وواسطة التداول هي قطع المعادن المضروبة . فالمنزل مال والبضاعة أيضا مال، مثلها مثل النقود سواء بسواء . وكما ان النقود (العملة او القطع المعدنية) هى واسطة التعامل فى الوقت الحاضر فقد كان العاج والملح والجلد والخرز والحيوانات والمحاصيل وسائط للتعامل فيما مضى . ومن يدرى ربما يكون الراديوم او الجواهر واسطة للتعامل فى المستقبل .

ان قول هؤلاء الفقهاء لا يخرج عن أحد امرين : فاما الجهل وإما التنطع فى الدين . ان اساس الاخلاق الانسانية ليس قال فلان عن فلان وليس التهويش بل النية . ولا اكون بعيدا عن الصواب اذا قلت ان معنى الربا هو استعمال قوة الانسان لاستثمار الضعيف في أوقات ضيقه فلو اسلفتك مائة جنيه (من اى نوع) مع اقتناعى بانك لن تحصل على ربح اكثر مما سأخذه منك فانى اكون مرابيا (فاذا كانت الفائدة ٢ في المأية وانا لا انتظر ان تستفيد انت اكثر من ٢ في المأية اكون مرابيا) ولكن لو كان المنتظر انك ستكسب ٧٠ في المأية فان أخذى ٦٥ فى المأية مما تربحه لا يعد ربا لانه لولا مالى ماربحت أنت ١٠ في المأية وهي الفرق . كذلك اعتقد اننى لو أسكنتك منزلي باجر عال لانك مضطر اليه اكون مرابيا وكذلك أرابى لو بعتك شيئاً تحتاج اليه بثمن غال مستفيدا من شدة حاجتك . انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوي

عمر عنايت

افظع جرائم القرن التاسع عشر

٣ — أديب يتحول مجرما

قال أحد علماء العصور الوسطى — لا أدرى من هو — « لا جديد على الارض » ، وانما نحن ندهش للمفاجأة فحسب ، ونؤخذ لأننا لم يسبق لنا علم بحدوث حادث مثل الذى نراه فيخيل لنا أنه جديد ، مع انه لا بد أن يكون قد سبق حدوث مثله تماما فى وقت ما من العصور السالفة . . . خذ لك مثلا ما تقرأة في الصحف اليومية بين حين وحين من أخبار الجرائم والمجرمين فمنذ بضعة شهور اهتزت اسلاك البرق فى جميع انحاء العالم حاملة خبر اعتداء عصابة من اللصوص على ساعي البريد فى مدينة هرلبول من أعمال انجلترا واستلابها منه كيس البريد الذي كان يحتوى على ما يقرب من ثلاثين الف جنيه ، وجاء فى التلغراف وصفا لذلك الحادث : « وهذا اول حادث من نوعه فضلا عما فيه من جرأة رائعة » . . . وقد دهش الناس لوقوع هذه الحادثة وأخذوا يتناقلون أخبارها على اعتبار انها اول حادثة من نوعها ، وما ذلك الا لأنهم لم يسمعوا من قبل بأسم « جورج لاسينير » ، وهو ذلك الذى — على قدر ما وصل اليه علمنا وبحثنا فى تاريخ الجرائم والمجرمين — يكاد يكون مخترع هذا النوع من الاجرام ، اى اغتصاب البرد ، على أن قطاع الطرق أصل شجرة هذا النوع من اللصوصية ، وهم موجودون فى العالم منذ نشأته .

***

فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٣٤ تقدم شخص فى هيئة المقبل على سفر الى مصرف (بنك) مورستاد وماليت الواقع فى حى فوبرج وعهد الي قلم التحصيل فيه بتحصيل قيمة سندين احدهما مستحق الدفع بعد يومين ضد المسيو ماهو سييه القاطن بالمنزل رقم ٦٦ بشارع مونترجيل

وحوالى منتصف الساعه الرابعة بعد ظهر ٣١ ديسمبر كان المحصل جينيفيه واقفا امام الدور الرابع من المنزل المذكور حيث قرأ الاسم المكتوب على ذلك الباب بالطباشير فاذا هو « ما هو سيبه » . . . وكان ذهاب المحصل فى في ذلك الوقت بناء علي ارشاد الرجل الذى عهد الى البنك بالتحصيل حيث قال ان ما هوسيبه المدين يكون فى منزله عادة بين الساعة الثالثة والرابع والرابعة الاربعا . . . ولن يصعب على القارىء تبين الغرض من هذه التعليمات الدقيقة عندما يقرأ الاسطر القليلة التالية . . . ففى هذه الساعة المتأخرة من النهار يكون جينيفيه (المحصل) حاملا لأكبر كمية من النقود ، اذ يكون قد حصل معظم مطلوبات البنك في آخر الشهر — بله فى آخر السنة . . . فما كاد ينقر على الباب نقرتين حتى فتح بسرعة وأدخل الطارق وأغلق الباب وراءه في طرفة عين . . . وما عدا مرتبتين من القش وسلتين كانت الغرفة خالية من كل أثاث . . . وكان في انتظار المحصل رجلان، فاجأه احدهما بضربة شديدة من آلة حادة بين كتفيه ، محاولا في الوقت نفسه الاستيلاء على « المحفظة » الجلد التى كان يحملها وتحتوى علي عشرة آلاف فرنك ورقا (بنكنوت) و ١١٠٠ فرنك ذهبا ، بينما وضع الآخر يده علي فم جينيفيه ليمنعه من الصياح . . . على إن المضيفان قد أخطآ تقدير قوة ضيفهما الذى رغما من انه لم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره ورغما من الجرح الخطير الذي اصابته به الآلة الحادة — قاومهما مقاومة عنيفة واستطاع ابعادهما عنه ثم شرع يصيح بأعلى صوته طالبا النجدة . . . فلما أن شعر الوغدان بحرج مركزهما ركنا الى الفرار

أبلغت الحادثة الى حكمدار البوليس علي الوجه المتقدم ، فقام طبعا الى المكان الذي وقعت فيه « وأجري معاينته » ودون المحاضر ولكن « سيناتة » و « جيماته » لم تكشف له عن اكثر من المعلومات التى عرضناها عليك فيما سلف . . . .

ومضت تسعة أيام ثم عهد كشف غوامض هذه الحادثة الى « كانلر » —

وقد كان بمد لا يزال مفتشا للبوليس (١) — فكان أول ما عمله ان سعى للحصول على وصف لذلك الرجل الذى تسمى باسم ما هوسييه — لأنه اعتقد ان هذا الاسم غير حقيقي — وكذلك وصف شريكه ، وقد استطاع صاحب المنزل الذى وقعت فيه الحادثة ان يعطي وصفا مطولا عن الاول لانه رآه عدة مرات ، أما شريكه فلم يكن يعرف عنه الا النذر اليسير الذي يقرب من العدم لأنه لم يره الا مرة واحدة فيما يقرب من اللمحة . . . وثانى خطوة خطاها رجل البوليس انه اجتهد ليطبع في مخيلته الصورة التى كتب بها اسم « ما هوسييه » على الباب . . . ولسنا فى حاجة الى القول بأن آلة التصوير (الفوتوغرافيا) لم يكن قد ذاع استعمالها بمثل ما هو الآن ، لأن داجير ونيبس دى سنت فيكتور بدآ اعمالهما منذ عام ١٨٢٩ اي قبل وقوع هذه الحادثة بخمس سنوات فقط

فبعد ان حصل كانلر على المعلومات المتقدمة قرر القيام بجولة في « بنسيونات » باريس . . . وها نحن نتطفل على علم القارىء المطلع — احاطة لزميله غير المطلع — بشرح « البنسيونات » فى العاصمة الفرنسية وغيرها من المدن الكبري الفرنسية اذ هى تختلف فى الواقع عما نعرفه عنها هنا فى مصر ، فثمة ألوف من رجال الأعمال والنساء يقضون حياتهم في تلك البنسيونات بل أن منهم من يقضى فى بنسيون واحد اكثر من نصف عمره ، وجميع أهل هذه الفئة صغيرهم وكبيرهم على السواء يشغل حيزا كبيراً من رقابة رجال الأمن العام فى بلاد الحرية ، وصاحب البنسيون او صاحبته او مديره أو مديرته لا بد ان يحفظ سجلا باسماء جميع النازلين عنده وهذا السجل خاضع لتفتيش رجال البوليس فى اى ساعة بالليل أو بالنهار

ولا بد ان يكون القارىء قد أدرك الباقى من نفسه ، ذلك ان هذا النظام كفيل ولا شك بتسهيل البحث عن ذوي الاخلاق الدنيئة وبينهم طائفة

---

(١) ما زال كانلر معدودا الى يومنا هذا من اقدر رجال البوليس السرى فى العالم ، وله تمثال نصفى فى متحف اللوفر بباريس — المعرب

الذين لا يتكسبون فى وضح النهار . . وبالرغم من هذا فقد انقضى يومان ذهبت فيهما ابحاث كانلر ادراج الرياح ، ولـكنه فى اليوم الثالث سطع عليه بصيص من النور حيث قرأ اسم « ما هوسييه » فى سجل احد البنسيونات وتحت هذا الاسم إسم آخر هو « فيزيليه » والاثنان يشغلان سريرا واحدا ! !

وكان الوصف الذى أعطته له صاحبة البنسيون عن ما هوسييه ينطبق تمام الانطباق علي الوصف الذي أعطاه عنه كل من المحصل جينيفيه وصاحب منزل شارع مونترجيل مما حمل كانلر على الاعتقاد بل الوثوق بأنه فى أثر الشخصين ضالته ، ولـكنه دهش حين شرعت صاحبة البنسيون تصف له « فيزيليه » وأخذ أخذاً لما عرضت عليه صورته فتحقق منها ان هذا الرجل نزل ضيفاً عنده فى أحد السجون — ولـكن تحت اسم آخر — منذ بضعه أيام فقط ، وقليل من التفكير جعله يذكره تماما فأذا هو « فرنسوا » المقبوض عليه رهن التحقيق في تهمة الحصول علي بضائع من تجار بطريق النصب والتدليس ، فما كاد يذكر هذا لنفسه حتى قام من فوره وذهب الى السجن الاحتياطى فاستحضر « فرنسوا » أمامه وسأله مفاجئاً :

— ما الذى دعاك لتغيير اسمك فى بنسيون مدام بجيوت فتتسمي باسم فيزيليـه ؟

ووقع فرنسوا في الفخ الذى نصب له فأجاب :

— وهل تظن انى كنت من البله الى حد ان اعلم ان هناك امرا . بالقبض على واكتب اسمى على حقيقته ؟ !

اذن لم يكن ثمة ادنى شك فى أن فرنسوا كان شريكا لماهوسييه في جريمة محاولة اغتيال محصل البنك . . .

وكانت الخطوة الطبيعية التالية لمعرفة شريك ما هوسييه هى ان ما هوسييه هذا هو شريك فرنسوا أو فيايزيه في السكن!! فذهب كانلر الى البنسيون وتحدث الى المسيو بجيوت (زوج مدام بجيوت ! !) وحاول

ان يستخلص منه شيئاً عن ما هوسييه ، فوجده رجلا صلباً ، يرى من واجبه ان يحتفظ باسرار زبائنه . . . وحينئذ وجه كانلر شطره نحو المرأة . . . مدام بجيوت . . . فاستطاع ان يعرف منها انماهو سييه زبون قديم عندها ، وانه أحياناً كان يكتب اسمه « باتون » . . . فكاد كانلر يصعق من شدة الفرح بهذا الانتصار السريع . . . وعاد يجرى الى ادارة البوليس وهو يعد الدقائق التى سيلقى فيها القبض على « باتون » فيكشف بذلك الستار عن جريمة محاولة اغتيال المحصل التى كانت قدشغلت جانبا من الرأى العام . . . وفعلا تم القبض بعد بضع ساعات على باتون فى احدى المقاهى الواقعة خلف مسرح بوابة سنت مارتين . . . ولـكن كانلر لم يلبث ان فوجىء بمشكلة أخرى . . . تلك أن الاوصاف التى عنده عن « ما هو سييه » لا تنطبق على « باتون » بأي وجه من الوجوه . . . حتى صاحبة البنسيون « مدام بجيوت » عند ما ووجهت بباتون المقبوض عليه قررت انه ليس ماهوسييه أو — أي باتون الذى تعرفه هي . . . أمافرنسوا المقبوض عليه والمظنون أنه شريك ما هوسييه الأصلى فقد رأى رجال البوليس ان لا يحيطوه بالتهمة الـكبرى الموجهة ضده كشريك حتى يلقوا القبض على الفاعل الاصلى وتقرر الافراج عن باتون

على أنه في نفس هذا الوقت نمي الى البوليس ان باتون صديق حميم لشخص يدعي جيار تنطبق عليه الاوصاف التى عند البوليس عن ماهوسييه . . . بل علم البوليس ايضا — من سجلات السجون — انجيار و باتون كانا رفيقين فى سجن بواسو

وأسعدت الصدفة كانلر بمقابله باتون وهو خارج من باب السجن ، فسايره واستدرجه في الحديث حول جيار فعرف منه ان جيار وما هوسييه اسمان لشخص واحد . . . على انه لما كان اسم ماهوسييه من الاسماء النادرة ، بينما اسم جيار من الاسماء الشائعة . فأن نظرة واحدة فى سجلات البوليس المحتوية على اسماء المقيمين فى البنسيونات كانت كافية لاقناعه بأنه

سيلقى مشقة كثيرة في العثور على « جيار » — وهذا بفرض ان « جيار » هو الاسم الذى سيستدل منه على ماهوسييه مرتكب جريمة شارع مونترجيل . . . فقد عرفه للبوليس حتى تلك اللحظة بثلاثة اسماء فلماذا لا يكون الآن موجودا فى بنسيون آخر تحت اسم رابع ؟ ؟

***

وبعد ، فلعل هذا يكون كافياً لاثبات ان لاسينير كان مجرما فطنا والحق كل الحق ان كانلر لم يضع يده على هذا المجرم الا بفطنة ادق من فطنته . . . ولكننا مجبرون مع ذلك على ان نعترف بأن الغريزة البشرية تتغلب على المجرمين — مهما أوتوا من فطنة فيحتفظون بأثر من آثار الجريمة دون ان يشعروا بخطأهم فى ذلك . . . شأن الانسان فى النسيان . . . ومع ذلك سوف نرى بعد قليل كم من العقبات ستعترض طريق كانلر بين معرفته للمجرم وبين القبض عليه !!

***

ونعود فنذهب مع كانلر فى جولته التى استغرقت يومين بحثا عن جيار . . . واخيرا يعثر فى بنسيون فى شارع غابات لومباردوا على شخص بهذا الاسم وتلك الاوصاف، فتخبره صاحبة البنسيون انه يحضر في أوقات غير معلومة ، ويعرف منها كذلك ان عفش « جيار » لا يعدو ملابسه التى عليه ومثلها فى درج عندها وبضعة أوراق وكتب أغانى قديمة واعلانات وقصص وغير ذلك وهذه موضوعة فوق رف فى غرفته . . . وسرعان ما كان كانلر يقلب فى هذه الكتب والاوراق . . . ولم تمض عليه بضع عشرة دقيقة حتى كان يقلب بين يديه خطابا يتهكم كاتبه على مدير البوليس . . . وخيل لكانلر ان بعض الحروف من « ماهوسييه » التى كانت مكتوبة على باب غرفة شارع مونترجيل مماثلة — بل هى بعينها — لنفس تلك الحروف فى خطاب المنشور امامه بخط جيار وتوقيعه . . . فاقتنع كانلر في هذه

اللحظة بأنه قد اكتشف ما هوسييه الأصلى . . ولـكن اين هو ؟؟ لقد شعر بالبوليس فى أثره فاختفى !!

وفى هذا الوقت — ولعله من حسن الصدف التى ان أحسن انتهازها رجال البوليس توصلوا الى الكشف عن الجرائم والمجرمين — أن تقدم احد المجرمين محكوما عليه بسجن سنة وتطوع لأرشاد البوليس عن مكمن جيار ، أو مكامنه ، فى مدى أسبوع ، على شرط طبعا ان يصحبه بوليس ملكى في بحثه وارشاده عنه . . . وقد اجيب هذا المجرم المحكوم عليه الى طلبه ولـكنه فى نهاية الاسبوع لم يكن قد استطاع ان يعثر له على أثر . . . وفشل هذا المسعى أيضا

ومضت مدة والبوليس حائر . . . ثم تلقى خطابا من « افريل » — وهو المجرم المحكوم عليه الذي سبق له ان تطوع للارشاد عن جيار — يقول فيه ان جيار (ما هوسييه) له عمة تقيم في شارع « باردو بك » وانها قد تستطيع ان ترشد البوليس عنه . . . فذهب كانلر وصاحبه هذه المرة رئيسه المسيو الارد الى منزل مدام جيار . . . وسألا عنها فى الحى فعرفا انها أرملة تعيش من معاش زوجها المتوفى منذ زمن بعيد فضلا عن ايرادات أخرى مختلف كثيرا فى قيمتها، ولم يطيلا كثيراً في الاستعلام عنها حتى صعدا اليها ونقرا الباب . . . فلم تجب لاول مرة . . . فعاد كانلر ينقره بصوت أقوي . . . فسمعا وقع اقدام متثاقلة مترددة . . . ثم فتحت طاقة صغيرة فى الباب القوى وتوارت خلف ضلفته سيدة تسأل من الطارق ؟ فأجابها كانلر « نريد ان نتحدث الى مدام جيار » قالت « ها أنا مدام جيار » قال « نريد ان نسألك عن ابن أخيك جيار ؟ » قالت « أولا وقبل كل شيء اخبركم ايها السادة ان ابن اخى لا يدعى جيار وان اسمه الحقيقى انما هو لاسينير . . . وهو شرير للغاية . . . يتمنى لو اتيحت له الفرصة ليقتلنى من أجل بضعة القروش التى يظنها لدى . . . وهذا هو سر وجود الطاقة التي اكلمكم منها ، فقد انشأتها لأرى القادمين لزيارتى قبل ان افتح لهم الباب

ليدخلوا .. وبالطبع اذا رأيت انه هو القادم فأنى لا افتح له »

أذن كان رجلا البوليس — أو رجاله — فى أثر حرباء بشرية . . . ان لم يكن قادرا على تغيير جسمه فأنه من السهل عليه تغيير الاسم الذى يعرف به لدى كل جماعة وفئة ! !

ولم تقف المفاجآت التى أخذت تتوالي على كانلر عند هذا الحد ، فأنه بينما كان يبحث عن لاسينير فى باريس ورد عليه نبأ من بوليس ليون انه قبض عليه فيها اثناء محاولته صرف تحويل مزور باسم ليفى جاكوب

***

الى هنا وننتقل بالقاريء طفرة الى ان لاسينير حوكم وحكم عليه بالأعدام . . . ذلك لانا لم يكن غرضنا استعراض مهارة البوليس فى الكشف عن جريمة شارع مونترجيل . . لان لاسينير عندما قبض عليه ووجه بتلك التهمة اعترف بارتكابها فى غير ما تردد ولا محاولة . . وليس هذا فحسب . . بل أن « افريل » (المحكوم عليه الذى تطوع للارشاد عن جيار) كان قد اعترف على جيار — لاسينير — بأنه هو قاتل الأرملة مدام ساردو الذى عجز البوليس عن اكتشاف قاتلها منذ اكثر من سنة

وأليك ما تمخضت عنه اعترافات (جورج لاسينير)

كان هذا المجرم يضع الخطة لقتل ضحيته فينفذها ، لا دون ان يعبأ بالمقاومة التى يلقاها ممن يقع عليه اختياره فحسب ، بل دون نظر الى المغنم الذى يعود عليه من القتل وسفك الدم

وهو قد كان رجلا متعلما، تذوق كثيراً من لذة الآداب والفنون، وتتغلب عليه نزعة شعرية خيالية الى حد ما . . . وله أسلوب فى النقد لو أنه استخدم على الوجه الصحيح لكان أثمر ثمرات طيبات في الكشف عن كثير من أسباب النقائص التى تتخلل المجتمع الانسانى . . . ومما يذكر عنه في حياته الأدبية انه كلف مرة باستنساخ صورة من قصة تمثيلية نظير أجر معين ، فقبل ، ولكن لم تمض ثمانى وأربعين ساعة على استلامه للقصة حتى أعادها

الي اصحابها معلنا لهم فى أباء انه قرأ القصة فوجد نفسه لا يقوي على تحمل متاعب نقل « قصة سخيفة ركيكة مثل هذه ، تتقزز نفسى من مجرد التفكير فيها!!»

وقال عنه المسيو ألارد مدير البوليس « ليس هناك ادنى شك فى ان جميع من اتصل بهم لاسينير خلال سجنه كانوا يشعرون نحوه بالاحترام — لا من أجل اعترافاته الخطيرة فحسب — بل لأنه كان فى كل حركاته وسكناته وألفاظه يدل علي أنه رجل مثقف »

وكان اذ يلقى اعترافاته لا يبدو عليه أي فخار بما فعل ، ولا أسف عليه . . . بل كان يتكلم عن الجرائم التى ارتكبها مثلما يتكلم التجار عن الصفقات التى يعقدونها بنجاح ، وذلك الى ان يتكلم عن حادثة المحصل فى شارع مونترجيل فتجده يتكلم اليك كما يتكلم تاجر عن صفقة خسرها . . . فأذا سئل عن اسماء شركائه قال « أيها السادة ارجوان تعلموا أن فخرنا الوحيد نحن معاشر المجرمين — هو عدم البوح باسماء شركائنا الا اذا هم افشوا سرنا » فقيل له « ولكن افريل وفرنسوا قد ارشدا عنك واعترفا باشتراكهما معك » فأجاب « ما داما قد اعترفا علي نفسيهما فلا بأس من النظر فى امرهما على ضوء اعترافهما ، وحقيقة انى لا أشعر بدافع قوى للانتقام منهما »

وكانت قد وقعت عدة جرائم فى السنوات الاربع الماضية لم تتمكن السلطات من كشف غوامضها ؛ فأطمعتها صراحة لاسينير وما كان يبدو عليه من شغف بالجريمة في ان تحصل منه على معلومات بشأن تلك الجرائم ظنا منها انه لا بد ان تكون له يد فى ارتكاب بعضها علي الاقل . . . فشرع البوليس يعامله برفق زائد . . وبوما قال له كانلر « انى ما زلت اعتقد انك اخطأت في رسم خطتك فى حادث شارع مونترجيل » فأجابه لاسينير « هذا صحيح ، ولكنى اؤكد لك انك لن تستطيع ان تحذر موضع الخطأ وألافهات ماعندك وقل لي أين تظننى أخطأت ثم أخبرك أنا بحقيقة خطأى وحينئذ يتبين لك أى الرأيين أصح » قال كانلر :

— لو انك نجحت فى قتل المحصل ، وفزت بالنقود التى كانت معه ، لبقيت جثته دليلا على وقوع الجريمة ، والفرق الوحيد هو أننا كنا نعثر على رجل قتيل بدلا من رجل جريح ، وفى كلتا الحالتين فأن اوصافك كانت تعرف لنا من صاحب المنزل كما حدث ، ثم تسير ابحاثنا فى نفس الطريق التى سارت فيها الي ان نكتشف أمرك

أجاب لا سينير « هذا خطأ محض ! ! أنى عند ما أفكر فى ارتكاب جريمة أقدر سلفا جميع ما يتلوها من نتائج وما تترك وراءها من آثار فاضع الخطة الصحيحة لمحوها . . . ولعلك تذكر انه كان بغرفة شارع مونترجيل مرتبتان محشوتان قشا وسلتان ، فلو انى قتلت المحصل لكنت قطعت جثته واستعنت بالقش لاخفائها داخل السلتين اللتين كنت استطيع نقلهما دون ان استثير شكوك أحد الى أية جهة تبعد عن باريس ببضعة أميال — ولى منازل كثيرة فى الضواحى — فاستخرج قطع الجثة من السلتين وأغليها في ماء لمسافة ٢٤ ساعة فتزول معالمها ولا تبدو منها رائحة نتن ولا تبقى الا العظام وهذه يسهل التخلص منها فى موقدة الفحم حيث كانت الحادثة قد ارتكبت فى فصل الشتاء فلا يثير حمو نار الموقدة أدنى شبهة ولا التفات . . والآن فلعلك تعترف انى في رسم تلك الخطة قد اتخذت من الاحتياطات ما كان كافيا لاقصاء جميع قوات المباحث في العالم عن اى اثر للجريمة . . . صحيح ان اختفاء المحصل كان سيثير بحثا . . . ولكنى اؤكد لك ان البوليس عند ما كان يتعذر عليه العثور على الجثة او اى اثر للجريمة كان يظن نوا بأن المحصل قد أغواه المال فاختلس المبالغ التى بعهدته وهرب

على أنى وقد وعدتك بان اشرح لك موضع الخطأ او نقطة الضعف التى أدت الى كشف أمري ، فها أنذا اكشف لك عنها . . . لقد اخطأت باتخاذى شريكا فى هذه الحادثة كما اخطأت قبلها فى اتخاذى شريكا في حادثة مدام ساردو . . . ولولا هذين الشريكين لكنت الآن امرح فى امريكا بعشرة آلاف او احد عشر الف فرنك تقينى الحاجة مدة سنتين ، ولقد

أدت بك ظيبتك يامسيو كانلر الى وصفي بالذكاء، فلا يبعد انى كنت استعمل ذكائي في التجارة أو فى الصحافة وكان محتملا ان أصل الى مرتبة عالية فى احداها او الأخرى . . . ومن جهة أخري لو أنى دبرت تنفيذ هاتين الجريمتين لأقوم بهما وحدى فما كانت الضحيتان لتفلتا من يدي . . . وهذا من اكبر دواعى اسفي،لاسيما انى قبل هاتين الحادثتين كنت قداتخذت شريكا فى حادثة سابقة لهما ففشلت . . . والحق ان عدم نجاح حادثة المحصل يرجع سببه الى جبن فرنسوا الذى فر هاربا بمجرد سماعه صياح جينيفيه ، بينما انا عندما كنت اشتغل وحدى كان النجاح دائما حليفى ، وهذا بالطبع فضلا عن أنه لم يكن مستطاعا ان يعرف احد من أمري شيئاً لو كنت داومت على الاشتغال وحدى

فقاطعه كانلر « ومن يدريك ؟ يحتمل ان لدى البوليس بعض المعلومات عنك دون ان يصل هذا الى علمك »

— أنا واثق تماما أن أحدا لا يعرف شيئاً عن الحوادث التى قمت فيها بارتكاب بعض الجرائم بنفسى دون مساعدة شريك ، ولا بأس من أن اقص عليك بعضها ما دام لم يشترك معي احد فى تنفيذها — ولن تستطيعوا قطع رأسى مرتين . . قد تعلم انى انتمي الى ليون حيث كان والدى من مشاهير التجار ذوى الثراء،وقدجاءه الافلاس عن طريق كرمه وثقته بالناس اكثر من أى سبب آخر ، على أننا لم يصل بنا الفقر الى حد يدفعني للسرقه والقتل كي احصل على النقود . كما أنى لم ارتكب أول جريمة نتيجة لتفكير وتدبير أو انتقام أو اى سبب من الاسباب المعروفة الشائعة كأن يهتاج شخص فيقتل

كلا،ولم اشعر كذلك بعد ارتكاب الجريمة الأولي بما يسمونه وخز الضمير او الأسف . . بل انى فى الليلة الاولى التى سرقت فيها أول ضحاياى،ثم اغرقته ،قد نمت نوما عميقا كأن لم يعترضنى ذلك الحادث مطلقا ولا أزال على عهدي بنفسى حتى الآن . . . لا يعنيني من أمر غيري قلامة ظفر،ولا اعيره أدنى التفاتة

وقد وقعت تلك الحادثة هكذا : كنت عائدا عقب سهرة مجون الى منزلى في الصبيحة المبكرة قبيل بروز الغزالة فى احد أيام الصيف البديعة ، وقد ودعنى اصحابى عند أول كو برى موراند . وما كدت انتصفه حتى شاهدت رجلا أدركت بنظرة سريعة أنه قضى هو الآخر سهرة فى « انبساط » ما بعده انبساط ، وكان يترنح فى مشيته ، ولمحت على الضوء الضئيل المنبعث من مصباح الطريق سلسلة ذهبية تتماوج فوق صدريته ، وكانت ثيابه ثمينة حقا فلم اتردد لحظة وأدرت بصرى فى الطريق لأتأكد انه لم يكن ثمة أحد يرانا ثم انقضضت على عنقه بكلتا يدى ثم طرحته أرضا مغشيا عليه فسلبته كل ما كان معه وهو سلسلته وساعته الذهبيتين ومحفظته المحتوية على خمسة آلاف فرنك ، وكان باستطاعتى ان اتركه على تلك الحال التى كان فيها نصف ميت . . ولكنى آثرت ان اتخلص منه مرة واحدة فحملته من وسطه رغم أنه لم يكن خفيفاً ورفعته فوق الحاجز ودفعته فسقط فى اليم ، فهو والحجر الصلد سواء . وبعد ذلك وحتى الآن لم اعرف من كان ذلك الشخص ولا ادري ان كان أحد قد عرف عن مصيره شيئاً وما ذلك الا لأنى قمت بالعمل بمفردى ولم اكن حينئذ لأعنى حتى بمطالعة الصحف — كما أفعل الآن — لقراءة خبر اختفائه . . وكل ما فى الأمر انى احتطت بعدم التصرف فى السلسلة والساعة حتى حضرت الى باريس بعد مضى زمن طويل على وقوع الحادثة

وفى يوم آخر قال لا سينير .

— هل تعلم كيف كنت احصل على قوتى عند ما حضرت أولا الى باريس ولست أعنى ذلك الكفاف الضئيل الذى كنت احصل عليه من عمل النسخ ككاتب . . كلا . . انما اريدك ان تعلم أن رفاق كانوا يحسبوننى من صحاب الايراد الوفير بالنسبة للمركز الاجتماعى الذى كنت فيه . . فذلك الايراد كنت اتلقاه من طريق سرقة الملاعق والشوك الفضية . . ومع انى ما كنت اسرق اكثر من ملعقة وشوكة فى الدفعة الواحدة فأنى اقدر الكمية التى وصلت الى يدي فى ثلاثة شهور بأثنى عشر الف زوج ملعقة وشوكة . .

ولا أغالى اذا قلت لك انى مخترع طريقة سرقة هذه الادوات بواسطة لصقها بالشمع تحت سقف المائدة ، حتى أذا فرغ الندل (الجرسون) من لم الادوات ولم يشعر بفقد ملعقة وشوكة قمت فغادرت المطعم فى هيئة ارستقراطية لا يمكن أن تثير فى الشك بأى حال

قال كانلر « ولكنك ضبطت أخيرا متلبسا بالجريمة وقضيت مدة فى سجن بواسى فى أثرها

— هذا صحيح ! ! وانما أريد أن أبرهن لك على صدق نظريتى فى الشريك .. فأنه لم ينكشف امرى فى تلك المسألة الا بسبب طمع الشريك الذي اتخذته في يوم اسود مساعدا لى فمالبث أن اغتر بنجاح الخطة ودفعته نهمته الى سرقة ثلاث واربع ملاعق وشوك فى الدفعة الواحدة فالتفتت الينا الانظار ولما ضبطت الملاعق والشوك لاصقة فى سقف مائدتنا — ولاحظ هنا اننا ما كنا نحمل من الشمع الا ما يكفي للصق دفعة واحدة حتى لا يبقى معنا أثر للجريمة — ولكنه (اى شريكى) جبن عندما جوبه بالتهمة ، فلم ار بدا من الاعتراف حتى اكفر عن خطأى فى اتخاذ شريك ويكون فى العقوبة التى تتوقع على زاجر لى عن اتخاذ شريك في المستقبل . . ومع ذلك فها انت ترى يامسيو كانلر انى وقعت فى نفس الخطأ فلم تمتد الي يد البوليس فى عشرات الجرائم التى ارتكبتها وحدى ، ولكن امرى انكشف فى تلك الحادثة البسيطة ، حادثة قتل مدام ساردو

* * *

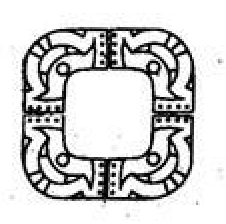
وأحسن رجال ادارة الأمن العام معاملته خلال الأيام الباقية على اعدامه لعلهم يفوزون منه باسم أحد ممن يكونون قد اشتركوا معه في الجرائم التي اعترف بها جميعها ، فكانت إجابته على كل محاولة فى هذا السبيل ابتسامة جذابة ، ويحدج مخاطبه بعينيين فاحصتين قائلا « اخشى ان أنا قلت ان احدا لم يشترك معي مطلقا ان اوصم بالكذب ، او قلت انى

قمت بها جميعاً وحدى ان أغمط زملائى حقهم فى الفضل الذى لهم فى معاونتهم إياى . . . وأري أنه ليس من حقى أن اتعرض لهم بأفشاء اسرارهم ما داموا هم قد عرفوا ان يحتفظوا بها لاسيما فيما يختص بى فلم يخونونى، وعلى ذلك لا أستطيع ان اخونهم »

* * *

وقد أعدم لا سينير وشريكه افريل فى يوم واحد . . . وكانت ادارة الأمن العام قد شعرت بأن اعترافاته التى نشرت فى الصحف — مصحوبة بآرائه الاجتماعية الأباحية ـ اخذت تؤثر في الجماهير ، فأصدرت بلاغا رسمياً حاولت ان تثبت فيه انه مات جبانا ، واسعدها الحظ بمكاتب صحيفة حضر عقب اعدامه مباشرة فلقنه مدير البوليس ماكان اعد للبلاغ الرسمي وذهب المكاتب فأوهم قراءه انه شهد لاسينير تبدو عليه آثار الارتياع قبل اعدامه . . . ولكن كانلر قرر فى صراحة ان ما جاء فى البلاغ الرسمى غير صحيح ، وان لاسينير قد استقبل الموت ليس فى رباطة جأش فحسب . . . « بل أنه لم يفرح لشيء في حياته مثل فرحه باستقباله »

احمد مختار



فهرست العدد

ص		
٦٤١	الايولوجيا أو دفاع سقراط عن نفسه	....
٦٥٧	الرومانتيسم	عبد الحميد سالم
٦٦٦	الوعود — قصيدة	أبو شادى
٦٦٩	كيف كنت سخيفاً	حسين محمود
٦٧٣	معنى التطور	أبو العينين
٦٧٨	نضال الفلسفة فى اغريقيا القديمة	ع . ع
٦٨١	تحسين النسل — عن ليونارد داروين	عمر عنايت
٦٨٨	خطابة المستر بولدوين — فى الجلد هول	....
٦٩١	صرعى الحرب العالمية ـ يومهم فى بريطانيا العظمى	....
٦٩٧	تركيا تماشى مدنية القرن العشرين	ط . ه .حنين
٧٠٣	شعر التجديد ومذاهب النقد	على محمد البحراوى
٧١٩	نبذ عن الزواج	ح . م
٧٢٥	الرجل والمرأة ـ أسطورة	حسن كامل الصيرفى
٧٢٧	شكوى مدرس	....
٧٣١	ابن الانسان عيسى بن مريم	جورجي اسكندر
٧٣٨	تعليق للعصور على مقالة ابن الانسان	....
٧٤١	النقد والتأليف	
	٧٤١ ـ تاريخ المؤامرات السياسية	لمحمد عبد الله عنان
	٧٤٢ ـ من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام	لبندلى جوزي
	٧٤٤ ـ تدرج المذاهب فى التربية ونزعة سبنسر	للسكرى
٧٤٨	المدرسة السفسطائية	....
٧٥١	محاربة البشاعة	أديب

٧٥٣	ـ حتى على الأقدار ـ قصيدة عصماء	للزهاوي
٧٥٥	ـ وولتر سكوت	. . . .
٧٦٦	ـ روبوت ـ أو الانسان الآلي ـ قصيدة	لابي شادي
٧٦٨	ـ أثر المناخ فى مستقبل الامم	. . . .
٧٧٤	ـ حزب الافندية	أبو الوفا
٧٧٨	ـ محاضرات في الجامعة المصرية	أبو النجا
٧٨٣	ـ الفائدة والربا	عمر عنايت
٧٨٤	ـ أفظع جرائم القرن التاسع عشر ـ قصة كاملة	أحمد مختار



